الديمقراطية

ونظريات الإصلاح في الميزان

- طبيعة الصراع بين الحق والباطل.
- الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية.
- الولايات الخاصة يختار لها الأكفأ فالأكفأ.
- فتوى مفتي الديار المصرية الأسبق.
- الحاكم يحكم مدة حياته ما دام قائمًا بشئون الحكم محسنًا في ذلك.
- أين الشورى في النظام الديمقراطي؟.
- الحريات الزائفة في النظام الديمقراطي.
- الخبر الصادق وإشاعة الفاحشة.
- ضوابط وحدود لحرية الرأي.
- بماذا نحكم على من ينادي بالديمقراطية.
- نماذج للتأسي وكلمات مأثورة.
- قرار المجلس الفقهي بشأن الديمقراطية.

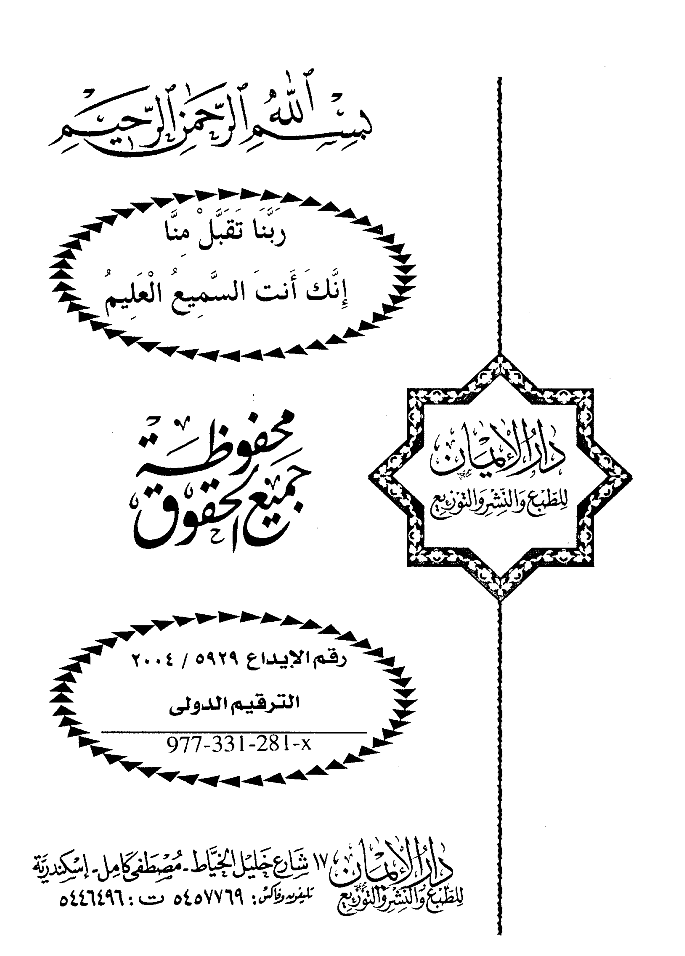
فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ٥٩٢٩ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-281-x

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة الطبعة الخامسة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فهذه الطبعة من الكتاب تصدر بعد احتلال أمريكا للعراق وتلويحها بأنها ما جاءت إلا لنشر الديمقراطية والقضاء على الدكتاتورية !! ، وتهديدها الصريح والضمني لدول المنطقة العربية والإسلامية بأنها إن لم تسارع بالإصلاح الديمقراطي فسيكون مصيرها كمصير العراق !! ، الأمر الذي جعل الكثرة ممن هم من جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا يصرح بأن الديمقراطية لا تُفرض بأسنَّة الرماح وتحت وطئة المدافع وعلى ظهور الدبابات فنحن جادون في الإصلاح الديمقراطي منذ زمن بعيد ، وبطريقة بيدي لا بيد عمرو ، فالأمر يأتي من الداخل لا بفرض من الخارج على الطريقة الغربية الأمريكية ! ، وصارت الديمقراطية وكأنها من المسلمات ، وأنها السبيل والطريق لإصلاح البلاد والعباد ، وأن الخلاف في هل أن تُطبق من الداخل أم تُفرض من الخارج ! ، وسارعت دول المنطقة في الكلام عن الحريات ، ومن بينها حرية المرأة ، وارتفعت صيحات الشاذين اللواطيين مطالبة بإباحة زواج المثليين والسماح بالشذوذ الجنسي! ، وتباهى البعض بأنه كان الأسبق من البعض الآخر في المطالبة بالديمقراطية الكاملة ، وأنه بُح صوته من أجل ذلك ، وأنها المخرج من الفتنة والسبيل الوحيد لعلاج الأوضاع المتردية ، ولخروج البلاد والعباد من الورطة المستحكمة ! ، فالديمقراطية هي الحل !!! .

ومن عجيب الأمر مجاراة بعض أصحاب الدعوات لهذه النعرة الوافدة المستوردة ، فبعدما كان الإسلام هو الحل صار الواحد إذا تكلم عن مواجهة اليهود فالعلاج عنده في تطبيق الديمقراطية الحقيقية ، وإذا تطرق لإصلاح الاقتصاد أو السياسة .... فالسبيل في إطلاق حرية إنشاء الأحزاب ، وحرية الرأي والتعبير ... !!! ، ولا نغالي لو قلنا استحكمت معالم الغربة بهذا التغيير وبهذا التبديل وبهذا التلون الذي يحدث ،

وكأن الإنسان حيَّة تغيِّر جلدها أو حرباء تغيِّر لونها ! ، ولم نكن نرجمُ بالغيب عندما قلنا : إن الديمقـراطيـة دينٌ عند أهلهـا ، وأنهـا وثنٌ يُعـبـد من دون الله ، وأن الغـرب سيسعي لفرضها على هـذه الأمـة ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٩] ، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، ﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٦] ، ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

إن الديمقراطية ليست طريقة في الزراعة أو الصناعة أو الطب حتى نقبلها ، بل هي عقيدة ونظام حكم وانحراف عن مقتضى العقل والفطرة والرسالة ـــ ومن طالع محتوى الكتاب وراجع المقدمات التي كتبتها في تواريخ وأحداث متفرقة ، سيجد مصداق ما نقول ـــ إن الإسلام دينٌ شاملٌ كاملٌ لا يقبل الخلط بغيره من النُّظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية ، منهج حياة يعلو ولا يُعلى عليه ، الإسلام أسبق من الديمقراطية اليونانية ، فالبشرية قد بدأت بنبي مُكلم هو نبي الله آدم عليه السلام ، وكان بينه وبين نوح عليه السلام عشرة قرون على التوحيد الخالص ، لم يسمح فيها أحد بالديمقراطية ولا غيرها ، ثم تتابع الرُسل يعبدون الناس بدين الله ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] ، ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] ، كلهم ينادي بإسلام الوجه لله رب العالمين ، وكانت دعوتهم هي الصلاح والإصلاح الحقيقي ، فهذا نبي الله موسى يوصي أخاه هارون بقوله : ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، وحكى لنا القرآن عن نبي الله شعيب أنه قال : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾ [هود : ٨٨] ، وقال نبي الله صالح : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ

بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾ [هود : ١١٧] .

وبيَّن سبحانه ثواب المصلحين الحقيقيين بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) ﴾ [الأعراف : ١٧٠] ، فالإصلاح يا قوم إنما هو في العودة لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ ، وفي العمل بمنهج الأنبياء والمرسلين ، ونحن لا نرضى بالإسلام بديلاً ولا نحيد عنه ـ بإذن الله ـ قدر أنمُلة ، ولا يجوز لنا أن نرضي أحدًا بسخط الله ، ولا أن نبيع ديننا بدنيا غيرنا ، ولا أن نعبد إله القوم عامًا وإلهنا عامًا ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾ [الكافرون] .

لابد من ثبات على الحق وأن ننهج منهج من تقدمنا بإحسان ، كصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون ، وأصحاب الكهف ، وعبد الله الغلام وأصحاب الأخدود .... ، والحذر كل الحذر من التنازلات فليست المناداة بالديمقراطية على هذا النحو المريب رخصة أو هي صورة اضطرار أو استكراه ، فدعاتُها يصورونها على أنها الجنَّة الموعودة وواحة الأمن والأمان ، يلوحون بها ليل نهار ، بمناسبة وبغير مناسبة ، ولو اقتصرت المناداة بها على الغرب لقلنا : هذه هي عقيدتهم ودينهم ، ولكن أن تحدث المزايدة بها في أوساط المسلمين هذا مما يثير الاشمئزاز والغثيان ، فهل كان الإسلام ناقصًا وكملته الديمقراطية ؟! ، ألم يطالع المتكلم بالديمقراطية قول ربه تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [مريم : ٦٤] ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] .

ولقد نُهينا عن النطق بكلمة ﴿ رَاعِنَا ﴾ لأن اليهود كانوا يتكلمون بها ، ويقصدون التنقيص من شخص رسول الله ﷺ ، ومن المعلوم أن المسلم إذا تلفظ بها فلن يقصد

ذلك ، فكيف يجوز التلفظ بالديمقراطية والمطالبة بتطبيقها ، ومعناها ومحتواها يخالف دين الإسلام ؟، إن الديمقراطية مرفوضة سواء جاءت من الداخل أو فُرضت من الداخل ، مرفوضة حتى لو طالب بها الخلق جميعاً ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

والحق لا يُعرف بكثرة ولا بقلة ، والمسلم الذي يطالب بها عليه أن يراجع نفسه، وأن يحذر من الدخول في عداد المنافقين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾ [البقرة : ١١، ١٢] .

إني لا أجد مثلاً لهؤلاء الذين يطالبون بتطبيق الديمقراطية بأسلوبهم الخاص ، ويقولون : بيدنا لا بيد عمرو ، إلا كمن قيل له : « اكفر ، وازنِ ، وافجر ، .... » فقال : أنا أكفر كيفما أحب ، وأزني متى أشاء ، وأفجُر بطريقتي الخاصة التي تحلو لي دون فرض أو استكراه !!! .

سفهت العقول وضلت الأفهام ، ولأمثال هؤلاء يُقال : أليس منكم رجلٌ رشيد ينطق بلسان حاله ومقامه ويقول : رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ، ربِّ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة الطبعة الرابعة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وصحبه ومن ولاه .

أما بعد :

فتصدر هذه الطبعة عقب وفاة الملك حسين بن طلال – ملك المملكة الأردنية الهاشمية وقد وصفوه بأنه سياسي بارع وداهية مُحنك يعمل لمصلحة شعبه ، وكان أول تصريح لولده الملك عبد الله أنه سيسير على درب والده ، وسيوسع دائرة الحريات وإنشاء الأحزاب ... وقد تعهدت أمريكا بتأيده ضد الأخطار المحيطة به وسيطرت أجواء الحزن العميق والخوف الشديد على اليهود والأمريكان بصفة خاصة لرحيل الملك حسين ، وذلك لعلاقاته الحميمة وصداقته القديمة معهم ... .

وما تراه من نظم وسياسات وملك وحكم هنا وهناك لا ينفك عن لوثة ديمقراطية يحرص على بذرها الأعداء ، وهم أكثر الخُلق انتفاعاً بثمرتها ، لقد انخدع البعض بما عليه الغرب من فلسفات ونقل من هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، الكثير من الأساليب ظانين أنهم بذلك يحسنون الصنع ويؤدون خدمة لشعوبهم ، وهذا إن أحسنا الظن بهم وما يدرى هؤلاء أنهم بذلك يوردون أنفسهم وغيرهم موارد الهلكة ، وإلا فمصلحة البلاد والعباد تكمن في تطبيق شرع الله والنزول على أمره سبحانه ، قال تعالى ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝ ﴾ [النساء : ٦٠ ، ٦١] ، وقال : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فأوجب سبحانه على المسلمين العمل بكتابه وبسُنة نبيه ﷺ وتولى الله ورسوله والمؤمنون البراءة من الكفر وأهله والحذر من النظم الوضعية والقوانين

الطاغوتية الكفرية ، ما قيمة أن نبني المصنع والمدرسة ... بينما نحن ننحرف بأنفسنا والدنيا من حولنا عن منهج الله ، وهل تحقق المصلحة بأن نكون في واد وإسلامنا في واد آخر ، أو أن نفصل بين الدنيا والآخرة والأرض والسماء ، قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٢ ، ١٢٣] ، إن السياسة التي تنفصل عن الدين هي أقصر طريق إلى الكفر كما قرر العلماء الواجب صبغ الدنيا بدين الله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، والعودة بكل مظاهر الحياة سواء كانت سياسية أو إقتصادية ... إلى شرع الله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] ، إن السياسي البارع هو الذي يعمل بإسلامه ولإسلامه ، ورضى الله حتى وإن سخطت عليه الناس ، ولا يروغ روغان الثعالب يقوم مقام الدعوة إلى الله حتى وإن كلفته نفسه كما صنع صاحب يس ، فقد أتى من أقصى المدينة يسعى قال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ﴾ [يس : ٢٠ ، ٢٢] .

لقد قتلوه ، وقد يقول البعض أضاع نفسه ، والأمر ليس كذلك فقد ذكر في موضع الثناء والمدح وانتقل إلى نعيم مقيم جعله ينادي ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [يس : ٢٦ ، ٢٧] ، أما القتلة فقد هانوا على ربهم ونزل العذاب بساحتهم ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) ﴾ .

[يس : ٢٨ - ٣٠] .

إننا بحاجة لضبط الألفاظ ، وعدم الإنبهار بصور الإنحراف ، وخصوصاً في أوقات

الغربة ، ولنتذكر دوماً أن الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به ، ولابد من الحيطة المتأكدة تجاه مسالك الأعداء ، والهالات الضخمة التي يصفون بها بعض الأفراد ، وكذلك الحذر من العلاقات والصداقات الحميمة التي تتم معهم ، فالأعداء هم الأعداء ، قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣] ، فخذ وصفهم من خالقهم ولا ينبئك مثل خبير ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [المائدة : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] ، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ** ﴾ [التوبة : ٢٢] ، إن اليهود والأمريكان لا يحبوننا وهم يستثمرون علاقتهم بنا لمصلحتهم ولإفسادنا وإستدخال الضرر علينا وتفريق جمعنا .

لقد كان الأمير حسن شقيق الملك ولياً للعهد ، ثم عزله الملك قبل وفاته وولى ابنه مكانه ثم اختير نائباً للملك ، ثم صار عبد الله ملكاً للأردن ، وولاية العهد صورة مشروعة من صور التولية ، بل قدمها بعض العلماء على غيرها من الصور لأنها حسم لمادة النزاع ولا ينفذ عهد السابق للاحق إلا بموافقة أهل الحل والعقد ويشترط فيمن يتولى إمرة المسلمين ، أن يقيم فيهم حكم الله ، بل لو قهر عبد حبشي الناس لسلطانه بالسيف ، فلا يحل الخروج عليه ، وتجب طاعته إذا أقام فيهم أمر الله ، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**أسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبه ما أقام فيكم كتاب الله**] [1] .

(١) رواه البخاري .

توفي الملك حسين بعد علاجه في أمريكا على يد أمهر الأطباء من اليهود وغيرهم وذلك لأن إرادة الله نافذة ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [يونس : ٤٩] ، وفشلت العملية الجراحية - رغم إدعاءات التطور والتحضر والتقدم - ثبت القصور والعجز في شفاء الملك كما يحدث مع الفقير حتى إذا ﴿ **بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)** ﴾ [الواقعة : ٨٣ - ٨٧] خلع الأنسان وفارق الأحباب ووجه للحساب غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)** ﴾ .

[آل عمران : ٣٠] .

فعلَّ الحكام والملوك أن يتعظوا ويعتبروا بهذا الدرس ، فالموت نهاية كل حي وغداً يقف الكل بين يدي مالك الملك وملك الملوك ، في يوم عظيم يقال فيه ﴿ **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [غافر : ١٦] ، إن الإمارة ليست غنماً كما يتصورها البعض ، ولكنها في الحقيقة حسرة وغرم وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها ، وفي الحديث الصحيح : [**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته**] [١] ، [**ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يُسأل ، كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع**] [٢] .

رأى ابن السماك هارون الرشيد وهو يطوف بالكعبة وحوله الناس ، فقال : كل واحد من هؤلاء يسئل عن نفسه ، وأنت تُسئل عن هؤلاء جميعاً ، فبكى هارون الرشيد - رحمه الله - .

فعلى كل من والاه الله أمر المسلمين أن يتقي الله فيهم ، وأن يرفق برعيته ويقيم فيهم معاني الحق والعدل ، وأن يكون الولاء والبراء والحب والبغض وفق شرع الله ،

---

(١) متفق عليه .

(٢) حديث صحيح .

فأعداء الأمس هم أعداء اليوم ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

حكى الإمام الذهبي عن أبي رافع قال : وجه عمر رضي الله عنه جيشاً إلى الروم فأسروا عبد الله بن حذافه فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا : إن هذا من أصحاب محمد ،فقال : هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي ؟ قال : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين قال : إذاً أقتلك ، قال : أنت وذاك فأمر به فصلب وقال للرماة : ارموا قريباً من بدنه ، وهو يعرض عليه ، ويأتي فأنزله ، ودعا بقدر فصب فيها الماء حتى احترقت ، ودعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بإحداهما ، فألقى فيها ، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم بكى فقيل للملك : إنه يبكى فظن أنه قد جزع ، فقال : ردوه ما أبكاك ؟ قال : قلت : هي نفسي واحدة تلقي الساعة فتذهب ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعرى أنفس تلقى في النار في الله ، فقال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك مائة نفس ؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسرى ؟ قال : نعم فقبل رأسه ، وقدم بالإمارة على عمر، فأخذه جده فقال عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة ، وأنا أبدأ فقبل رأسه [(١)] .

فالأعداء يسلكون معنا مذهب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى حتى نترك ديننا وندين بما هم عليه من كفر وباطل وضلال ، فالصراع بيننا وبينهم عقائدي في حقيقته وجوهره ، قبل أن يكون مصلحياً إقتصادياً ... وشأن المسلم في مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين أن يعتصم بجناب الله ، وأن يثبت على إيمانه ولا يقبل المساومة على معاني الدين وخصوصاً من كان هاشمياً أو له نسب شريف ، وإلا فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وقال الحسن : صدق الله سهل لا يجعل الله عبداً سارع إليه كعبد بطأ عنه .

---

(١) سير أعلام النبلاء .

إن في الموت عظة وعبرة لكن من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد ، كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا مرت به جنازة يقول : اغدوا فإنا غادون تركونا وراحو فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة ، يروح الأول ويعتبر الآخر .

وصعد عمر بن عبد العزيز درج مسجد دمشق ، وقال : يا أهل دمشق ألا تستمعون من أخ لكم ناصح ، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ، وقال-رحمه الله- قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ، ترى ما صنعت بهم الديدان ، محت الوجوه ، وكسرت الفقار وأبانت الأشلاء ، ومزقت الأعضاء ، ترى أليس الليل والنهار عليهم بسواء هم في مدلهمة ظلماء ، كم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية ، قد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، ثم قال : ليت شعري كيف ستصبر على خشونة الثرى ، وبأي خديك سيبدأ البلى .

وقال : يا ساكن القبر غداً ، ما الذي غرك من الدنيا ، أين دارك الفيحاء ؟ ، بل أين إقامة ثيابك ؟ ، وقال : إن الأمان غداً لمن باع قليلاً بكثير ونافذا بباق .

ولما احتضر أبو الدرداء رضي الله عنه جعل يقول : ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا ، وبكى ، فقالت له امرأته : تبكي وقد صاحبت رسول الله ﷺ ؟ فقال : وما لي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي .

ولما احتضر أبو هريرة رضي الله عنه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : بعد المفارقة وقلة الزاد وعقبه كئود المهبط منها إلي الجنة أو إلى النار .

وقيل لحذيفة في مرضه : ما تشتهي ؟ قال : الجنة ، قيل : فما تشتكي ؟ قال الذنوب ، وكان عبد الملك بن مروان يقول في مرضه : وددت أني عبد لرجل من تهامه أرعى غنمات في جبالهم وأني لم أل من هذا الأمر شيئاً .

ولما احتضر عمر بن العزيز قال : إلهي أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم أزدجر ، غير أني أقول : لا إله إلا الله .

ولما احتضر الرشيد رحمه الله أمر بحفر قبره ثم حمل إليه فاطلع فيه فبكى حتى رحم ثم قال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

وكان المعتصم يقول عند موته : ذهبت الحيل فلا حيله .

وقال إمام المزي : دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت له : أبا عبد الله كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، ولا أدري نفسي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها ، ثم بكى وقال :

ولما قسـا قلبي وضـاقت مـذاهبي	جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفو عن الذنب سيدي	تجود وتعفو منه وتكرما

وقال أبو محمد العجلي : دخلت على رجل وهو في الموت فقال لي وسخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي .

ولما احتضر عضد الدولة جعل يقول : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)** ﴾ فرددها إلى أن مات .

ونحن مازلنا في الفرصة ، وإرضاء الله لا يتحقق بمزيد من الحريات ، وإنشاء الأحزاب وتطبيق النظم الديمقراطية المستوردة من الأوروبيين والأمريكان ، فلهؤلاء دينهم ولنا دين ، وعلى كل من طلب مرضاة الله والنجاة غداً أن يعمل بشرع الله في حياته الخاصة والعامة ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام:١٦٢ ، ١٦٣] ، فلا إله إلا الله ، التي دخلنا بها في الإسلام منهج حياة ، والإسلام دين ودولة ، ولو كره

الملاحدة والزنادقة ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] .

فيا عباد الله :

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة : ٢٨١] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

إن الحياة بغير الله سراب ، وغداً ينكشف الغطاء ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وضمة القبر تنس ليلة العرس ، وسهام الأسحار نافذة ، فاتق الله وأرفق بنفسك ، ورد الحقوق لأصحابها وإياك والظلم وأن الظلم ظلمات ، وحذار أن تجعل من نفسك نداً وإلهاً مع الله ، فالمرجع والمآب إليه سبحانه ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ . [الأنبياء : ٤٧] .

اللهم اغفر لصغيرنا وكبيرنا ، وحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وذكرنا وإنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفاه على الإيمان .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة الطبعة الثالثة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه . .

أما بعد :

فقد مضت سنوات تعمقت فيها معاني الغربة ، وأصبح من يقول رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً في موضع تهمة ، يُرمى بالأصولية إذا أطلق لحيته وارتاد المساجد ، ويوصف بالتطرف إذا قال للناس : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ويحدث ذلك من أُناس ينتسبون لديننا وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا !! .

وإذا كان اليهود الغاصبون للبلاد وللعباد ، يرمون فصائل الجهاد الإسلامي بأنها إرهابية ، والغرب يصف جبهة تحرير كوسوفا من الصرب الصليبيين بنفس النعت ، وهؤلاء وأولئك ينطبق عليهم المثل السائر : رمتني بدائها وانسلت ، وإلا فنعوت التنفير تليق بمن كفر بالله وانحرف عن منهجه سبحانه ، وعاث في البلاد والعباد فساداً كحالة هؤلاء اليهود في ترويعهم وقتلهم المصلين في المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي وفي جنوب لبنان وعند الحواجز ، وكذلك الصرب في قتلهم النساء والأطفال وإبادتهم الشعب المسلم وتغيير هويته دون هوادة أو رحمة ، وما أمريكا في حصارها لشعب العراق وليبيا والسودان ... من وصف الإرهابية ببعيدة ...

وهم يفعلون ذلك في الوقت الذي ينادون فيه بحقوق الإنسان !! ويطالبون فيه بحرية الشعوب !! وتفخر إسرائيل على سائر دول المنطقة بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة !!! .

وقد لا يُستغرب صنيع هؤلاء فهم يكيلون لنا بمكيال العداوة ، ويكيدون لكل ما هو إسلامي ، فخذ وصفهم من خالقهم ﴿ **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [فاطر : ١٤] ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] ،

ولذلك قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [المائدة : ٥١] ، وقال : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣] .

والعجب ممن انخدع بحيل الأعداء ، وصار حرباً على دينه وأبناء ملته ، يرميهم بشتى نعوت التشويه والتنفير ، ويصدهم عن سبيل الله ، ويصفهم بأنهم رجعيون متخلفون ظلاميون ... ويطالبهم بالتنوير والتطوير وبأخذ الإسلام المودرن المعلب في باريس ولندن وواشنطن !!! وقد تأثر البعض بهذا الإرهاب الفكري فصار إسلامه مسخاً يلهج بالديمقراطية ، ويسبّح بحمدها ويطالب بتطبيقها ، فالديمقراطية أصبحت أغنية المتحدثين وطرب المستمعين وهي فيصل الخصومات والمنازعات عند هؤلاء وأولئك ، وكأن الإسلام قد غاب من حساباتهم ، ولم يعد لشعائر الدين وأحكامه مكان في حياتهم عند التطبيق والأمثلة على ذلك كثيرة ، وآخرها إتهام إحدى جرائد المعارضة لوزير على مدى شهور طويلة مما دفعة لرفع دعوى قضائية فحكمت المحكمة بحبس رئيس تحرير الجريدة وبعض محرريها ، وتدخل البعض لفض النزاع .

يقول أحد رجال الصحافة البارزين :

إن القضية معقدة لسبب رئيسي وهو أننا أمام مشكلتين أساسيتين :

[١] مشكلة حقائق قانونية ، فهناك في الموضوع محكمة وهناك دعوى وحكم ابتدائي صدر لصالح حالة قانونية .

[٢] وفي نفس الوقت فنحن أمام حالة جريدة مارست حرية الصحافة ووجدت من حقها الاعتراض على وزير قوى في الحكومة ، وإثارة تساؤلات حول تصرفاته وطرح على الرأى العام كقضية عامة ، إذن فنحن هنا أمام حقين ، في هذا الموضوع :

《 **أ** 》 حق بالقانون .

《 **ب** 》 حق بالحرية .

والحل في اعتقادي هو في التصالح ... أ . هـ .

ويقول آخر : لقد أصبحت حماية حق التعبير والنقد عرفاً تعلوا قداسته على القانون القائم ... فمتى زالت الهيبة عن حرية الرأى وسقطت القداسة فستخرج القوانين المستبدة من الثلاجة وسيزول الحرج من تطبيقها ... وإذا تقرر مرة أن انتهاك الحرية ممكن فسيزول الحياء ويصبح هذا الانتهاك ممارسة عادية تتكر كل يوم . أ. هـ .

مئات الكلمات على نفس النمط في هذه القضية ، وكلها تتخوف على الديمقراطية ، وأن الديمقراطية في خطر ، وأن حرية الصحافة هي الضمانة الأولى في مواجهة الفساد ، ... كلمات ليس فيها إشارة للإسلام – كمنهج حياة ندين به – وليس للإسلام في كلمات المسلمين نصيب !! ولا ندري هل مواجهة الفساد لا تتم إلا بالديمقراطية !!! وهل كشف وتعرية المفسدين تتم بالشبهات وبدون براهين أو أدلة أوضح من شمس النهار ؟!!! وهل إذا رفضنا سجن الصحفيين وحملة الأقلام فهل نقبل سجن غيرهم ممن انتهك الأعراض ولوث شرف الأبرياء ؟!!! وما الفارق بين هؤلاء وأولئك ؟!!! ، وماذا نفعل إذا صارت الحريات أشبه بالسيارات التي تنطلق بلا فرامل ، وتصادمت حرية الصحفي مع حرية الإنسان العادي ؟!!! ومتى كان الحريات بلا ضابط ولا رابط ؟! .

أسئلة كثيرة حائرة لا يمكن أن نجد لها حلاً عند الديمقراطيين ، ولا يمكن أن يصّطلح كل فريق على حقه إلا إذا رجعنا لكتاب الله ولسُّنة رسول الله ﷺ ، وأظهرنا شعائر إسلامنا وديننا وتعرفنا على فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيقاً للمصلحة ودفعاً للمضرة والمفسدة ، وحينئذ سنعلم أن رأس المعروف هو الإيمان بالله وأن رأس المنكر هو الكفر والشرك ، وأن تقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى ، أن الحدود تدرأ بالشبهات ، وخطأ الحاكم في العفو أولى من خطئه في القصاص ، وأن صيانة الأعراض أمر واجب ، وكذلك العدل حتى مع الكافر ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ**

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] ، وأن مواجهة الفساد والمفسدين مطلوبة ومشروعة ولكن وفق معاني الحق والعدل ولا يتحقق ذلك إلا بالإسلام لا بالشطط الديمقراطي .

ثم المؤمن رجاع ولوام ، حريص على رد الحقوق لأصحابها ، فإذا أخطأ قال : والله أنا كنت أظلم ، ويقول : حقي لأخي ، ويصنع كما صنع الأفاضل وقد راجعه إخوانه فقال : إذاً أرجع ولأن أكون ذنباً في الحق خير من أن أكون رأساً في باطل ، وفضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ومن علم أنه مسئول بين يدي من لا تخفى عليه خافية ، فليعد للسؤال جواباً .

رأى المسيح رجلاً يسرق فقال الرجل : والله ما سرقت ، فقال المسيح ، آمنت بالله وكذبت عيني ، ولو يُعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء أُناس وأموالهم ... والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ... وستبقى القضية الحقيقية ، وهي أين الإسلام في حياتنا الخاصة والعامة ؟! وهل حكمنا الكتاب والسُّنة في أقوالنا وأفعالنا وسياستنا وصحافتنا وحرياتنا وكل شئون حياتنا ؟ يجب علينا أن نجتمع على كلمة سواء تحسم مادة الشر والفساد في حياتنا وتوحد كلمتنا وتلم شملنا ، يقول تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥] ، وقال : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ [آل عمران : ٨٣] ، إن الإسلام هو العقيدة الحقة الصحيحة الشاملة لكل نواحي الحياة وما سواه فعقائد فاسدة لا تغني عن أصحابها من الله شيئاً سواء أكانت من وضع البشر كالديمقراطية والإشتراكية أو منزلة ولكنها حُرفت وغُيرت وبُدلت كالتوارة والإنجيل ، فلا يصح لأحد أن يتحرج من النطق بكلمة الإسلام ولا العمل بمقتضاه

أو إظهار شعائره ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨) ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] .

لقد بدأ الإسلام غريباً وها هو يعود غريباً كما بدأ ،وغربته اليوم وسط أهله وبنيه ، يصفها البعض بأنها أشد من غربته الأولى ، فقد واجه الصحابة الأفاضل الغربة الأولى بإيمان ويقين وصبر وثبات أما اليوم فالتقوى زائلة ، والصبر ضعيف والضعفاء مهملون ومضيعون ... فكيف ننتصر على عدو الله وعدونا ، بل صارت قطاعات كبيرة من المسلمين بمثابة معاول هدم لهذا الدين وحرباً عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولن يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، كما أخبرنا الصادق المصدوق – ﷺ – ولا يسعنا في هذا المقام أن ننتظر خروج المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً ، أو انتظار نزول المسيح من السماء كحاكم من حكام المسلمين يحكم بشريعة الإسلام كما تواترت بذلك الأخبار ، بل الواجب علينا أن نبذل وسعنا وأن نبرئ ساحتنا وأن نأخذ بأسباب تخفيف منابع الضلال ، وكلنا ثقة بوعد الله ، فالنصر عقبى الصابرين ، وربنا لا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين ، وقد قال وقوله الحق : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم : ٤٧] ، ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة الطبعة الثانية :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذه الطبعة تصدر في تلك الآونة العصيبة من تاريخ هذه الأمة وقد تفجرت أحداث الخليج واشتعلت الحرب في المنطقة وكان من أخطر نتائجها : تلويح حاكم أمريكا بإقامة نظام عالمي واحد تتزعمه أمريكا وهذا النظام هو الديمقراطية ، وهذا يفسر لنا التحويلات التي تجري في البلدان الشيوعية الآن لإقامة نظم ديمقراطية بل ويفسر لنا تصريحات حكام دول المنطقة بتطبيق الديمقراطية الإسلامية عقب الانتهاء من الحرب ، وقد زعم هؤلاء أن الإسلام هو التطبيق المثالي للديمقراطية !!! .

ولا شك أن هذه من أخبث الدعوات التي أفرزها الموقف في الخليج والتدخل الأمريكي .

وقد كثر الحديث في أيامنا هذه عن الإجماع الدولي والشرعية الدولية وكأن هذه الكلمات المستوردة قد أصبحت هي البديل عن الإجماع الذي يعرفه المسلمون من مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (١١٥) ﴾ [النساء : ١٥٥] ، وهذا الإجماع المعتبر هو إجماع العلماء المجتهدين في عصر من العصور على حكم شرعي والشرع مبناه على الكتاب والسُّنة ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** (٣٦) ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فهل الإجماع الدولي والشرعية الدولية كذلك ؟ ، وإذا كان مرد الأمور عند المسلمين لكتاب الله ولسُّنة رسول الله ﷺ فلا عبرة إذن ولا التفات لقرارات الهيئات المشبوهة مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ويتأكد ذلك إذا صادمت هذه القرارات

كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ أو كانت على حساب مصلحة الإسلام والمسلمين .

ومن الواضح أن هذه الهيئات تكيل بمكيالين وتزن بميزانين ، ومن أصرح الأمثلة على ذلك ، إغتصاب اليهود لفسلطين وإنتهاك الحرمات وترويع الآمنين ومحاولتهم إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، فهل حركت هيئة الأمم ساكناً ؟ وهل ردت الحقوق لأصحابها ؟ .

والإجابة على ذلك أنها لم ولن تفعل ، إن عقد الإخاء وثيق بين مللَ الكفر ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، ولذلك حذرنا منهم رب العزة جل وعلا فقال سبحانه :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] ، وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني ، قال : ما لك قاتلك الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة : ٥١] ، ألا اتخذت حنيفاً ، قلت : يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله .

وروى الإمام أحمد ومسلم أن النَّبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال : إني أردت أن أتبعك وأصيب معك ، قال :« تؤمن بالله ورسوله ؟ » ، قال : لا ، قال :« ارجع فلن أستعين بمشرك » .

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الإطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم .

والناظر في الأحداث الدائرة الآن سيجد بالإضافة لتمزيق الأمة وتفتيتها وإزهاق أرواح الأبرياء دون وجه حق وتدمير آلة الحرب العراقية واستيلاء القوى الأجنبية على منابع البترول في الخليج والتحكم في اقتصاديات المسلمين وجعل أمريكا بمثابة القبلة التي يتوجه إليها البشر لإقامة الحق والعدل ، بل والشرطي الذي يحقق ذلك – نقول بالإضافة إلى ذلك كله فقد أوشك مفهوم الولاء والبراء أن يضيع ويميع في حس المسلمين ، ولا نغالي إذا قلنا أن المستفيد من هذه الحرب هم اليهود والصليبيون والشيوعيون والروافض أصحاب ثورة إيران .

فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فهي فتنة تربو وتزيد على فتنة التتار والحملات الصليبية وثورة الزنج والقرامطة ، وفي الوقت الذي تعالت فيه الصيحات مطالبة بالرجوع لدين الله وتطبيق شرع الله في السياسة والإقتصاد والإجتماع والأخلاق وكانت هذه الصحوة الإيمانية الوليدة التي يخشى الشرق والغرب بأسها ولذلك ما كادت شرارة الحرب تندلع حتى أتى أعداء الإسلام والمسلمين بخيلهم وخيلائهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

ولا يكاد يمر علينا يوم إلا ونسمع فيه التصريح بهذا النظام العالمي الواحد ، وقد لا يستغرب هذا بالنسبة للغرب إذ النصرانية التي يدين بها – وإن كان قد تفلت منها – هي عبارة عن بعض الأخلاق والأحكام لا تقيم نظاماً متكاملاً للحكم ، هذا بالإضافة إلى الهزيمة التي مُنيت بها الكنيسة هناك فانفصل الدين عن الدولة ولذلك فالمعارك الحزبية في الغرب تجري بعيداً عن ساحة الدين .

وقد أصبحت معظم أنظمة الحكم في عالمنا المعاصر تنقسم إلى نوعين أساسيين :

الأول : هو ما يطلق عليه اسم النظام الشمولي القائم على فكرة الحزب الواحد أو التنظيم الواحد وهو لا يسمح بالتكتل المعارض .

الثاني : هو النظام الديمقراطي ومن سماته التعدد الحزبى، وتعتبر المعارضة ركيزة من ركائزه الأساسية .

ومن عجيب الأمر أن يتنادي الأمراء والملوك بالأخذ بالنظام الديمقراطي مرددين بذلك مقولة حاكم أمريكا ، فبدلاً من أن ينيبوا إلى ربهم ويتوبوا إليه ويحكّمون شريعته حتى يرفع كربه ومقته عن هذه الأمة إذا هم يتسابقون في تقديم فروض الولاء والطاعة للكفار والملاحدة .

فما هي العلاقة بين الإسلام والديمقراطية والله عز وجل يقول : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠)** ﴾ [يوسف : ٤٠] ، وقال أيضاً : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وعلي النقيض تماماً نجد مباديء الديمقراطية تقول : إن الحكم للشعب بالشعب لصالح الشعب ، فالإله المعبود عند الديمقراطيين هو الشعب ولا شك أنها صورة من صور الوثنية العصرية... فأي علاقة تربط بين الإسلام والكفر؟!.

قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فالمسلم يُخضع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته لشرع الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] ، ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا ولها حكمها في دين الله ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

وختاماً :

فالواجب على المسلمين أن يراجعوا إسلامهم ويطبقوا كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ﷺ وأن يتحرروا من روح الإنهزامية الشديدة التي تأسر قلوبهم وليعلموا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعلى كل من أراد سعادة الدارين والنجاة في الدنيا والآخرة أن يسلم وجهه لله .

فالإسلام هو الطريق الوحيد للنجاة ... وهو سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وهو دين الله عز وجل وشريعته الحكيمة الباقية المعصومة إلى قيام الساعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة الطبعة الأولى :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أصبحت الديمقراطية شعاراً يرفع راية يُعمَلُ تحت لوائها يغنون لها ويتاجرون على حسابها ، بل أصبحت نظاماً للحكم في العديد من الدول حتى هذه التي تقول أن دينها الرسمي هو الإسلام .

وتصورت قطاعات كبيرة من البشر أن المشاكل التي يعانون منها سببها الرئيسي هو غياب الديمقراطية الحقيقية وأنهم يأخذون الديمقراطية بالقطارة ويمن حكامهم عليهم بهذه القطرات البسيطة وكأنهم يدفعون من جيبهم الخاص وأن الأنظمة الديكتاتورية تمنع حق الناس في التنعم بظلال الديمقراطية ويوم تطبق الديمقراطية بحذافيرها فسيعيشون في جنة الأرض وأنهم سيواصلون مسيرة الجهاد لتحصيل هذه المكاسب الديمقراطية .

بل وخرج بعض من ينتسب للعمل الشرعي يهتف هو الآخر بالديمقراطية الإسلامية وطالما أن في الإسلام شورى إذاً فالديمقراطية نظام إسلامي ولا مانع من إضافة هذه الكلمة للإسلام ، كما أضيفت من قبل كلمة الإشتراكية وغيرها للإسلام .

من هنا كان واجباً أن نقف هذه الوقفة مع هذه الكلمة التي أصبحت تمثل منهجاً نستبين معها معنى كلمة الديمقراطية وكيف نشأت ؟ ، ونزنها بميزان الكتاب والسُّنة ، ونبين فيها حكم من ينادي بالديمقراطية وهي وقفة واجبة بإذن الله تعالى ، لأن النصيحة كما قال ﷺ في حديث تميم الداري : [**الدين النصيحة** « ثلاثاً » قلنا : لمن يارسول الله ؟ **قال** : « **لله – عز وجل – ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**] [(١)] ، وخصوصاً أنه قد شاع هذا المصطلح وتكلم به الرجال والنساء والكبار والصغار ، وكثير منهم يظن أنه يحسن الصنع عندما يلوكه بلسانه دون فهم لمعنى الكلمة وما يراد من ورائها .

فيا عباد الله :

الحياة بغير الله سراب ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)** ﴾ [النور : ٣٩] .

والعيش بغير منهج الله ضياع ونكد ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] ، وياحسرة على العباد الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم وأضاعوا أنفسهم بمناهج وضيعة كفرية واتبعوا أمر كل جبار عنيد وتابعوا كل شيطان مريد ... فاللهم بك نصول وبك نجول وبك نحارب وفي سبيلك نجاهد ، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأيقنا أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ**

(١) رواه مسلم .

به الرُّوحُ الأَمينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾
[الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] .

ونسأل الله أن يجمع قلوبنا على دينه ، وأن يجعلنا من الذين يعلمون الحق وبه يعدلون .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إماماً .

وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد النَّبي المصطفى والرسول المجتبى ﷺ ، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

واقع البشرية ونظريات الإصلاح

عندما ذهبت البشرية تلتمس الهدى في غير شرع ربها ضلت وأضلت ولم تجد السعادة التي كانت تنشدها ولا الراحة التي كانت تتلمسها وذلك لأنها أسلمت رقبتها لبشر سماتهم النقص والقصور لا يدركون كثيراً من مصالحهم الحقيقية فضلاً عن أن يقودوا البشرية إلى حياة الخير وبر النجاة .

ثم تنازع هؤلاء الذين انحرفوا عن منهج خالق الخلق ومالك الملك في حجر الزاوية وأساس الإصلاح فقال البعض : البداية تكمن في الإصلاح الاقتصادى وبصلاحه تنصلح الدنيا بأسرها ، وخالفهم فريق آخر فقال : بل أساس كل صلاح أو إصلاح هو الحكم والسياسة .

وظهرت نظريات وفلسفات وخرجت جيوش من المصلحين يعالجون عوج البشرية ، ويا ليتهم إذ شخصوا الداء عرفوا دواءه واستقاموا على منهج الله بل كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار فعالجوا الانحراف بانحراف والعوج بعوج آخر .

وقامت العلوم الإنسانية فى الغرب وفي مقـدمتها التربية على أسس خطيرة ، وهذه الأسس باختصار شديد :

[١] النظرية المادية التي لا تعترف بوجود الخالق جل وعلا وتضع مكان كلمة الله عبارة الطبيعة وأصبحت الطبيعة هي الإله الجديد عند الغرب الذي يعطي ويمنع، وبمقتضاها يسير الكون وفق هذا النظام المحكم الدقيق ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس : ٤٠].

[٢] النظرية التي تخضع الإنسان لمفهوم الحيوان سواء من ناحية النفس «وهذه نظرية فرويد » أو المعدة « كارل ماركس » أو مسئولية المجتمع « نظرية دور كايم » .

[٣] نسبية الأخلاق باعتبار أن الأخلاق ليست من الدين ولكنها عادات وتقاليد .

وهؤلاء جميعاً أخطأوا الطريق ولا يشفع لهم حسن نواياهم إن وجدت وهم خالفوا مقتضى العقل والفطرة والكتب المنزلة والأنبياء المرسلة في آن واحد لما تباعدوا عن دين الله الذي ارتضاه للعالمين ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) ﴾ [الملك : ١٤] .

ومعرفة الواقع من حيث هو واقع أمر مطلوب ومشروع إذا أردنا أن ننهض من كبوتنا وأن نبلغ رسالة ربنا للخلق كافة من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه ، ولحديث حذيفة رضي الله عنه قال : « كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يارسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير » [١] ، وكما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : « يهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية » ، والجاهلية صور مكرورة لا تقتصر على حقبة زمنية ولا لى مكان دون آخر .

وقد ذكر لنا منها القرآن عدة صور مثل :

[١] **تبرج الجاهلية** : ﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ** ﴾[الأحزاب : ٣٣]، لكون المرأة كانت تظهر خصلة من شعرها أو تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال .

[٢] **حمية الجاهلية** : ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [الفتح : ٢٦] .

[٣] **حكم الجاهلية** : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (٥٠) ﴾ [المائدة : ٥٠] .

[٤] **ظن الجاهلية**: ﴿ **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [آل عمران :١٥٤].

ولما سمع النبي ﷺ أحد الصحابة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ يعير أخاه بأمه قال له : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » [٢] .

---

(١) ، (٢) رواه البخاري .

ولا شك أن غفلة البشرية وانسلاخها اليوم عن دين الله أمر لا يخفى على أحد فانتشرت الجريمة والظلم والإنحلال والفضائح السياسية وانعدمت الأخلاق بالرغم من التقدم المادي ووجدت مشكلات كثيرة يتولد بعضها عن بعض ويؤثر بعضها في وجود بعضها الآخر .

والإلحاد الآن يعتبر أم المشكلات وإحدى مظاهر العصر وهو عبارة عن :

كفر بالخالق وميل عن طريق الإيمان ، ومع طغيان موجة الإلحاد أصبحت الكنيسة بخزعبلاتها أثراً من آثار الماضي ، واختفت تقريباً عدة نحلٍ مثل : الهندوكية والبوذية أمام مد الإلحاد الغربي والحياة العصرية ، بل العالم الإسلامي والذي يقر بالتوحيد نوعاً ما لم يسلم من هذه الموجات الإلحادية والتي أصبحت تشكك بعض أبنائه في دينهم ، والإلحاد الآن هو الدين الرسمي المعبر عنه بالعلمانية اللادينية في كثير من بلدان الغرب والشرق على حد سواء ... الأمر الذي ولد في النهاية ما يسمى بحضارة القلق على قول البعض .

وإذا كان الواجب علينا معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك ، والحلال والحرام ، والفرائض بما تصح وبما تبطل ، والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر والإخلاص فإن من الواجب على الإنسان أيضاً إذا وقعت شبهة أن يتعلم من دين الله ما يستدفع به هذه الشبهة عن نفسه وما أكثر الشبهات والنظريات والفلسفات التي يموج بها الواقع ! مثل الإشتراكية والديمقراطية والفرعونية وزمالة الأديان .

وبسبب الجهل بواقعها وحقيقتها انحرفت فيها قطاعات من الناس ينادون بها ويصرخون بتطبيقها والعيش في ظلالها . يفعلون ذلك مع صلاتهم وصيامهم ولا يجدون حرجاً من الخلط بين الإسلام وغيره من النظم والفلسفات .

الصراع بين الحق والباطل

وهذه السُّنة من أهم السُّنن الربانية أن يدور صراع بين الحق متمثلاً في دين الحق الذي ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة وبين غيره من النظم والدساتير والفسلفات والمناهج المعوجة والمنحرفة عن الإسلام وفي ذلك يقول تعالى ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١]، ويقول : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠ ، ٤١] .

وأعظم معروف هو إخلاص العبودية لله جل وعلا ، وأول منكر هو عبادة غير الله من الطواغيت والأهواء والشهوات والإعراض عن شريعة الله فإذا ثبت أصحاب الحق وصبروا وصابروا تحقق لهم وعد الله بهزيمة الباطل وهذا الصراع لا تنهيه معركة واحدة ولا حتى مئات المعارك إذ أنه يتخذ عدة أشكال ويمتد في مساحات طويلة تجعل الإنسان يقضي حياته كلها في هذا الصراع وقد يهدأ في بعض الجوانب ويشتهد في جوانب أخرى واستمراره يأتي من كثرة الأعداء في الداخل والخارج ، من النفس والأقارب والأموال والأزواج ، ومن الشيطان وجنوده ومن الكفار على مختلف ألوانهم وأشكالهم يهوداً كانوا أو نصارى أو ملاحدة والإنسان وهب من القدرات والقوى ما يستطيع به مع توفيق الله وهدايته من السيطرة والانتصار .

وهذا الصراع بدأ مع خلق آدم وأمر إبليس بالسجود له فامتنع محتجاً بشرف عنصره وأنه خُلق من نار فكيف يسجد من خُلق من نار لمن خُلق من الطين ؟، فخاب اللعين وخسر عندما اعترض على أمر ربه ولم يذعن وله ولم يخضع له بل ولم يستغفر ربه حين عصى بل تمادى في غيه وسأل الله النظرة والمهلة إلى يوم القيامة ﴿ قَالَ رَبِّ

فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحجر : ٣٦] .

واقتضت حكمة الله إمهاله إلى يوم القيامة ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر : ٣٧ ، ٣٨] ، وجعل يطيف بآدم فوجده خلق خلقاً أجوف فقال : لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت عليَّ لأعصينك .

فوسوس لأبينا آدم ﷺ بالأكل من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها وأقسم لهما إنه لهما لناصح ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[الأعراف : ٢١ - ٢٣] .

لم يعهدا من قبل أن يجدا مخلوقاً يقسم بالله كذبا ، ولذلك يقول العلماء : من خدعنا بالله انخدعنا له .

ثم أمر الجميع بالهبوط إلى الأرض ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة : ٣٦]، وقطع إبليس عهداً على نفسه فقال : ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء : ١١٨] ، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر : ٣٩] ، وقال أيضاً : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧] ، وحذر رب العزة عباده من كيده ووسوسته فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

وامتد الصراع إلى بني آدم وبني إبليس، وبين لنا ربنا جلّ وعلا أن الشيطان ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ، وأنه لا حجة له في إغواء العباد : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] ، وكل

سلطان في القرآن فهو الحجة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، صراع بدأ ولم ينته بل ولن ينتهي حتى تنتهي الحياة وفي الحديث : « **الجهاد ماض في أمتي لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل حتى يقاتل آخر رجل من أمتي المسيح الدجال** » ضعيف السند وله شواهد كقوله : « **الجهاد ماض مع كل بر وفاجر** » من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يسمع منه ، وفي الحديث الآخر : « **الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والغنيمة** » [1] .

وقد انحرف كثير من الناس عن منهج ربهم ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ : ٢٠] ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] ، وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول: أخرج بعث النار ، قال: وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، قالوا : وأين ذلك الواحد ؟ قال** : أبشروا **فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف** » [2]، ولذلك يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴿٣٠﴾ ﴾[ق : ٣٠] .

فالحق لا يعرف بكثرة ولا بقلة ، ولكن اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه ، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنعام: ١١٦] ، ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يوسف : ١٠٣] ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، والشيطان في حربه وصراعه لبني آدم لا ينام .

كما قال الحسن حين سئل أينام الشيطان ؟ ، قال : لو نام لاسترحنا .

وإذا كنا نتغافل عن مهمتنا فإن الشيطان يواصل الليل والنهار في سبيل إنفاذ وعده وتابعه على ذلك خلق كثير أصبحوا من أوليائه بل وفاقوه في حيله كالتلميذ الذي يفوق أستاذه يواصلون الليل والنهار في المكر والكيد للإسلام والمسلمين ، وشنوا على هذه الأمة حرباً لا هوادة فيها واستخدموا في هذه الحرب كل صور الأسلحة ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ [الصف : ٨] .

حرب عسكرية وسياسية واقتصادية وحرب فكرية أو ما يسمى بالغزو الفكري وهو أعنفها وأطلقوا على الأمة سهاماً كثيرة بحيث من لم يصبه سهم أصابه السهم الثاني أو العاشر .

وكانت الديمقراطية هي إحدى هذه السهام الخبيثة التي أطلقت على الأمة بالإضافة إلى نحل وفلسفات ونظريات ، وركزوا في سبيل ذلك على كل القطاعات من رجال ونساء وكبار وصغار واستخدموا كل الوسائل من إذاعة ، وتليفزيون ومجلات وجرائد ولم تسلم مناهج التعليم في مختلف المراحل من هذا الدس ، وحشدوا من أجل ذلك جيوشاً جرارة من الساسة والزعماء والمفكرين ورجال الأدب لترويج هذه النظريات والفلسفات في أوساط المسلمين الذين يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

بل وحاول أصحاب هذه المذاهب الفكرية في فلسفة مذاهبهم وتأييدها أن يجدوا سنداً تاريخياً لها في الوقت الذي حرصوا على تشويه تاريخ هذه الأمة الإسلامي لإبعاد المسلمين أكثر وأكثر عن دينهم وأتوا للأمة بحثالات البشر ووضعوهم في مقام القدوة

والقيادة وأضفوا عليهم ألقاب البطولة والزعامة فنادوا بالتغريب وبأخذ كل ما عليه الغرب حتى هذه النجاسات الموجودة في أمعائهم لكي تتطور الأمة كما تطور هؤلاء .

ومن بين هؤلاء مصطفى كمال أتاتورك الذي وُصِفَ بالبطولة وأنه محرر الشعب التركي من سلطة السلاطين واتخذ مثلاً لكثير من الثورات في البلاد العربية حتى أن شوقي بعد الانتصار المريب على الإنجليز أنشد يقول :

الله أكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى في الآذان وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية اللادينية على الشعب التركي ونزع الحجاب ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى أنه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزي وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة .

وإذا كان الصراع قديماً وعقد الإخاء وثيق بين كل قوى الكفر فلتستمع لما يقوله كاسترو « رئيس كوبا » للسفير الإسرائيلي في بلاده « على إسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الديني مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة في المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية » « الإسلام والحضارة الإنسانية لمحمد خفاجي » .

والباطل صورة مكرورة فقد أرسل اللورد اللنبي إلى وزارة الخارجية البريطانية وذلك بعد تحريه شهراً وكانت انجلترا قد غيرت مندوبها أبرق يقول :

[١] الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته .

[٢] أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة .

ورجع سعد زغلول ليصرف الثورة من ثورة دينية إلى ثورة وطنية تنادي بتحرير

التراب ويشترك فيها الجميع وقال قولته المشهورة : « الدين لله والوطن للجميع » وكانت مفاوضات وتفاهات أطلق عليها اسم المكاسب الوطنية خرج بعدها سعد زغلول ليقول : خسرنا كل المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز » .

ويقول : « الإنجليز خصوم شرفاء معقولون » !! .

ثم يأتي بعد ذلك لطفي السيد أستاذ الجيل ليقول : « إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر ، وليس السبيل أن نحاربهم ، بل السبيل أن نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور : ٤٠] .

وإلا فماذا ينتظر من الذين تربوا على موائد الغرب تارة وموائد الشرق تارة أخرى ونسوا أو تناسوا دينهم في سبيل نقل بعض معالم التطور ، ولم يفرق الكثيرون بين ما يجوز نقله وبين ما لا يجوز اعتباره ولا أخذه ، فالعلوم الدنيوية كالزراعة والصناعة والهندسة والطب تؤخذ من كل من أفلح فيها بخلاف الهداية الإلهية في العقيدة والشريعة والأخلاق والحكم فهي من الإسلام وحده لا غير .

وهكذا حورب الإسلام بيد أبنائه : بعد أن كان يحارب بيد أعدائه ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

وسُنة التدافع المذكورة في القرآن إنما هي لخير البشرية ولتحقيق منهج العبودية لله عز وجل في أرضه وإزالة كل طاغوت يعبد من دون الله وحتى يكون الدين كله فلابد من شد العزائم لتحقيق المجتمع المسلم الذي ينفذ أمر الله وشرعه وفق قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)** ﴾ [محمد : ٣١] ، ﴿ **الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] ، ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)** ﴾ [المجادلة : ٢١] ، ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [الفتح : ٢٨] .

ميزان وضابط

لا بد من ميزان وضابط نزن به أنفسنا قبل الناس ، وإن وافقناه كنا على حق ، وإن خالفناه وجب علينا أن نراجع أنفسنا على فقه نحاسبها على أساسه .

والمسلم دينه الإسلام وهـو يجري منه مجرى الدم من العروق ولا حياة له بدونه ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشوري : ٥٢] فلا تتصور سعادة ولا هناءة في البعد عن دين الله ولذلك ينتقل الناس من كرب إلى شقاء ومن تعاسة إلى نكد كلما ازدادوا بعداً عن منهج حياتهم وصلاحهم ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] .

ومن رحمة الله تعالى أن حفظ لنا الإسلام وحفظ أيضاً من يقوم به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر : ٩] ، بل وحفظت السُّنة أيضاً في داووين الإسلام وميز لنا العلماء الأجلاء بين صحيحها وضعيفها فكان الإسلام بمثابة واقعاً تطبيقياً .

فقد أقام النَّبي ﷺ دولة بالمدينة واتسعت رقعتها بعد ذلك لتشمل أرجاء المعمورة وهذه الدولة حكمت بدين الله سياسة واقتصاداً واجتماعاً وأخلاقاً وكان لها عهود وعقود ومعاملات وسياسة داخلية وخارجية وعلى ذلك درج الخلفاء من بعده ، وهذا الأمر لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الشمس في رابعة النهار ثم خرج يزعم بعد ذلك ويقول : أين نظام الإسلام في السياسة أو الحكم أو الاقتصاد؟! ومثل هذا لم يرجع لكتاب الله ولا سُّنة رسول الله ﷺ، وتناسى الواقع التطبيقي للإسلام

في أزهى عصوره: « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)] .

ومن طالع كتب الفقه والحديث والتفسير والسير وجد تفاصيل ذلك كله ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] ، وما بعد النور إلا الضلال والعمى ، والحق أبلج والباطل لجلج ، وعلى الحق نور وهو واحد ، والباطل كثير لا ينحصر ، والبدع كثيرة وطرق الغواية كذلك ، وهي عبارة عن فلسفات وتصورات ومذاهب تختلف فيما بينها وتشترك في أنها ضلال وبعد عن الحق والحقيقة .

وبإزاء الطريق المستقيم الذي رسمه الله لعباده وأمرهم بسلوكه سنجد طرقاً متعرجة متشابكة وظلام متكاثف ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

هذا الطريق المستقيم طريق طويل وممتد ابتدأه ربنا جل وعلا بآدم « أبو البشر » وكان نبينا مكملاً وسار فيه الأنبياء والصالحون كلهم أسلم وجهه لله واستقام على دين الله وقام بواجب العبودية لله رب العالمين ﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)** ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

لم يعتمدوا على حولهم وقوتهم ولا على عقولهم وعلومهم وكانوا يحذرون الرأي والهوى في دين الله فلم يبتدعوا ولم يخترعوا ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [يونس : ١٥] .

وما خلت الأرض من قائم لله بحجة ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [النساء : ١٦٥] ، ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر : ٢٤] ، وأتباع الحق هؤلاء قد يقلون هنا ويكثرون هناك، ويدعون غيرهم إلى طريق الأمن والإيمان حتى وإن سخر بهم واستهزأ منهم ، وكما ورد : « **ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك** »

---

(١) متفق عليه .

وإذا كان كل نظام له عقيدة ، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم ، وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات .

والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان :

[١] **العقيدة الصحيحة** : وهي العقيدة الحقة التي جاء بها الرسل الكرام في أي زمان ومكان ، وهي عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ، ولا تختلف من رسول إلى رسول ، ومن زمان إلى زمان ، ولذلك يخطئ من يقول : الأديان السماوية ، لأن الدين واحد لا يتعدد ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وهو الذي بعث به نوح وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ولكن تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

[٢] **العقيـــدة الفاسدة** : وفسادها من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكريهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وأفكار .

وقد يأتي فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية في الوقت الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادها كان من هذا التحريف وإن كانت عقيدة سليمة في الأصل واستبدلت التوراة بالتلمود والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام باثنى عشر إنجيلاً اتفقوا على أربعة منها وطرحوا الثمانية الأخرى وكلها تحريف وتغيير ولذلك يصادم بعضها بعضاً ، فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها في اليهودية ولا في النصرانية ولا في كلام الفلاسفة ، وإنما يجدها في الإسلام في أصليه : الكتاب والسُّنة ، تقنع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً ونوراً وحياة ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)** ﴾ [الحجر : ٩] ، ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)** ﴾ [الملك : ٢٢] .

بعض خصائص وسمات الإسلام

إذا كان الإسلام هو الميزان الضابط ، وهو الحاكم وكل شئ من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكوم عليه ، وهو يعلو ولا يُعلى عليه ، وهو الصبغة التي صبغنا الله بها والدين الذي ارتضاه سبحانه للعالمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم في كل زمان ومكان ، فلا شك أنه حوى واتسم بخصائص ومميزات تؤهله لذلك .

ومن أعظم هذه الصفات والخصائص :

[١] صفة الربانية :

فالإسلام من عند الله ، وهو وحيه سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)** ﴾ [الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥] ، وجبريل عليه السلام هو ملك الوحي الذي كان ينزل بأمر الله على المرسلين كموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ، والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل إلينا نقلاً متواتراً حفظته السطور والصدور أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، والسُّنة المطهرة الصحيحة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ .

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الإنسان بقصوره وعجزه ، فالإسلام مصدره رب الإنسان ومالكه الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى، يقول تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)** ﴾ [النمل : ٦] ، ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢)** ﴾ [الزمر : ٢] ، ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢)** ﴾ [السجدة : ٢] .

وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسُّنة نبيه ﷺ ﴿ **وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)** ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، والنبي ﷺ صادق مصدوق ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)** ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] .

والنظم والفلسفات وإن رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا أنها في الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة في الأعم الأغلب من الأحوال ، والتمييز بين الناس على أساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند أكثر الدول تحضراً – كما يزعمون – في القرن العشرين .

فمن النصوص القانونية في بعض الولايات الأمريكية « **إن النكاح بين شخصين** أحدهما أبيض وآخر زنجي يعتبر نكاحاً باطلاً » بل يحرم القانون عندهم أي دعوة لإقرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود .

أين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[الحجرات : ١٣] ، وفي الحديث الشريف الذي أورده القرطبي في تفسيره عن الطبري بإسناده عمن شهد خطبة رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال : « **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟** » ، قالوا : نعم ، **قال:** « **ليبلغ الشاهد الغائب** » [١] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حِب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة رضي الله عنه ،فقال رسول الله ﷺ: « **أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟** » ثم قام فخطب ثم قال : « **إنما هلك من قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ؛ وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » [٢] ، وأن النَّبي ﷺ قال لأبي ذر لما قال لرجل من المسلمين يا ابن السوداء : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » [٣] .

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره عن الطبري بإسناده .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه البخاري .

والعقيدة ولا شك هي الضمان لحسن تطبيق النظام ، والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويخافون سوء الحساب ينقادون لأمر ربهم سرا وعلانية ويخافون على أنفسهم من مخالفته وعصيانه ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)** ﴾ [الأنعام : ١٥] ، أما القوانين والمبادئ الوضعية التي شرعها الإنسان فإنها لا تظفر بهذا المقدار من الإحترام والهيبة إذ ليس لها سلطان على النفوس ، ولا يقوم على أساس من العقيدة الحقة والإيمان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت هذه المخالفة موافقة لأهوائها محققة لرغباتها ، والواقع خير شاهد على ما نقول.

ولننظر بعد ذلك كيف أتى ماعز والغامدية لرسول الله ﷺ وأقرا على نفسيهما لإقامة الحد عليهما لما زنيا فيرجعهما النبي ﷺ مرة بعد أخرى ، وهما يصران على تطهير نفسيهما ، لا شك أن رقابة الله وخوف الله هو الذي دفعهما لذلك .

ولما نزل تحريم الخمر يروي أنس رضي الله عنه ويقول :

كانت الكؤوس تدار على رأس أبي طلحة وأبي عبيدة وأبي دجانة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا أن الخمر قد حرمت يقول : فما دخل علينا وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضأ وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد » وفي رواية : « **قلنا : انتهينا ربنا انتهينا** » قالوا ذلك لما سمعوا قول ربهم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] ، فكانت المسارعة بالتنفيذ دون تلكؤ أو تردد أو شك أو ارتياب ، وقام المسلمون إلى زقاق الخمر فأراقوها وإلى دنانه فكسروها وغرقت شوارع المدينة يومئذ بالخمر .

ولما شرعت أمريكا قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠م وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها مهدت له بدعاية « ٦٥» مليون من الدولارات ، وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة في مضار الخمر ونتائجه وعواقبه ، وأنفق ما يقرب من « ١٠ » عشرة مليون دولار من أجل تنفيذ القانون ، وقتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس ، وحبس نصف مليون شخص ، وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من أربعة ملايين دولار ، وصودرت أموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون في أواخر سنة ١٩٣٣م .

كان يكفيهم مع الإيمان قوله سبحانه﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ ليقولوا : انتهينا ربنا.

[٢] الشمول :

فللإسلام حكمه في كل قضية من قضايا الحياة ؛ سواء تعلقت بالفرد أو الجماعة ، بالمسجد أو بالسوق ، بالسياسة الداخلية أو الخارجية﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، ويقول تعالى :﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، فهي على قول بعض المفسرين تتعلق بالقرآن ، فكل قضية لها حكمها في كتاب الله إما إجمالاً وإما تفصيلاً ، والأفعال أو الأقوال التي تصدر عن الإنسان بل الخلجات والأفكار التي تدور في النفوس أو القلوب لها حكمها في دين الله ، وهي تأخذ حكماً من الأحكام الخمسة «واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام » .

والإنسان الذي حمل الأمانة على ظلمه وجهله إذا نصب من نفسه مشرعاً وإلهاً مع الله لا بد وأن تتسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور والهوى والنقص ، ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فصلاً مريباً بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية ، فلا مكان فيها للأخلاق ، في الوقت الذي امتزجت فيه الأخلاق بالأحكام الشرعية امتزاجاً كاملاً ، فلا ضرر ولا ضرار ، والمعصية لا تواجه بالمعصية والخطأ ، ونحرص على تقوى الله فيمن لا يتقي الله فينا .

وهذا الإلتزام يتأكد في أحرج الظروف وأدق الأوقات ولذلك : « لما أتى أبو جندل يستصرخ المسلمين يوم الحديبية ، وكان النّبي ﷺ قد أبرم الإتفاقيـة أو العهد مع أبيه « سهيل بن عمرو» أمره النبي ﷺ أن يرجع وقال له : « **يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم** » [١] ، قـال أيضاً : « **إنا لا يحل في ديننا الغدر** » [٢] .

فهذا معنى من معاني شمول الشريعة ، فالعهود كان يبرمها النّبي ﷺ الذي أقام دولة بالمدينة وفق شرع الله، وفي ذات الوقت امتزجت المعاني الأخلاقية بالوعد والعهود امتزاجاً لن تجد مثله في السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم .

بل ويقـرر الفـقـهـاء المسلمـون أن الأجنبي « غيـر المسلم » إذا دخل إقليم الدولة المسلمة بأمان ولمدة معينة ، لا يجوز تسليمه إلى دولته إذا طلبته خلال هذه المدة ، ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها ، ويبقى المنع من تسليمـها إياه وذلك لأن على الدولة الإسلامية أن تفي بعهودها له ، فيبقى آمنا لا يمسه سوء ، وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهدها له ، ولا رخصة فيها بل ولا يصح تسليمه حتى وإن قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمة المقيمين في أرضها لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم .

والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى خالقه وقد أمر أن يعي كل ذي حق حقه ويقول الرسول ﷺ : « **يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سُنّتي ؟** » قال : لا يارسول الله ، **قـال** : « **إن من سُنَّتي أن أصلي وأنام ، وأصـوم وأطعم ، وأنكح وأطلق ، فـمن رغب عن سُنَّتي فليس مني ، يا عثمـان إن لأهلك عليك حـقاً ، ولنفسك عليك حقاً** » [٣] ، ويعلم أن قضاء القاضي وحكم الحكم وفتوى المفتي لا تجعل الحلال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة قال رسول الله ﷺ : « **إنكم**

---

(١) رواه أحمد من هذا الوجه ، عمدة التفاسير ،(ص ٣٤٢) ، تفسير سورة الفتح .
(٢) رواه البخاري وأحمد وابن إسحاق ـ من قصة الحديبية ـ .
(٣) رواه الدارمي ، وقال الألباني : إسناده جيد .

تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي لكم على نحو مما أسمع منكم فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة » (١) .

وبالتالي فلا يحل لمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله ، وإن أباح له ذلك القضاء ، ولأن الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ، ولأن مناط الثواب والعقاب في الآخرة على حقائق الأفعال ونيات الإنسان وما ارتكبه من حلال أو حرام ، والعبرة بالمقاصد لا بالألفاظ .

وفي ظل هذا الشمول سنعلم أنه لا فصل بين العلم والعمل ولا بين الدين والدولة ، ولا بين الدنيا والآخرة، ولا بين الأرض والسماء ،ولا بين الصلاة والسياسة ، ولا بين الأخلاق والحكم ، ولا بين الزكاة والإقتصاد ، ولا بين ساعة وساعة ، ولا بين رجل ورجل ، فلا يصح بعد ذلك أن نقول : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، أو الدين لله والوطن للجميع ، ورجال الدين ورجال الدولة ، أو ساعة لربك وساعة لنفسك ، أو اليوم الخمر وغداً أمر ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٦٢) ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة : ٤٩] ، لا ينفصل عن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾ [النساء : ١٠٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** (٥٨) ﴾[الأنفال : ٥٨] ، لا يتباعد عن قوله جلا وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٨] .

وقوله سبحانه : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا**

(١) متفق عليه .

حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾ [التوبة : ٢٩] .

خرج من مشكاة واحدة هو وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ . [آل عمران : ١٩] .

وتقرأ في الأمر بالشوري : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشوري : ٣٨] .

وفي إيتاء الزكاة : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ . [فصلت : ٦ ، ٧] .

وفي أداء الأمانة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . [النساء : ٥٨].

وفي الميراث : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١].

وفي تحريم الربا ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥].

وفي عقوبة السارق : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] .

وفي التعزير : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشوري : ٤٠] .

وفي علاقة الابن بوالديه : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] .

وفي علاقته بزوجته : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] .

شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحي الحياة ، ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسُنة النَّبي ﷺ ، الذي لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل له ربه الدين ، وأتم عليه النعمة، ورضى لنا الإسلام ديناً ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد بين لنا وأعطانا من كل شئ علماً ، وحتى لا نحتاج بعد ذلك لهذه الزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية .

[٣] العموم :

النبي ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وإنما للبشرية كافة ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً** ﴾[سبأ : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[الأعراف : ١٥٨] ، ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[الأحزاب : ٤٠] ، ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)** ﴾[تبارك : ١] ، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾[الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)** ﴾[ص : ٨٨]، ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

فهذه الرسالة للأبيض والأصفر ، والأحمر والأسود، ويقول النبي ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله** » [١] .

ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة إلى رستم الفارسي وهنا وهناك ، وأرسل النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ،وقال له :[**بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**- أي الفلاحين- ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾]. [آل عمران : ٦٤] [٢] .

وكانت الفتوحات الإسلامية لإعلاء كلمة الله في الأرض بل هذه الرسالة تعدّت الإنس إلى الجن ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن**

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ - ٣١] .

فالجن حين تنادت بذلك قالت : أنزل من بعد موسى ، ولم يقولوا : أنزل من بعد عيسى، وذلك لأن التوارة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الإنجيل فهو عبارة عن الأخلاق والآداب والأحكام التي أضيفت إلى التوارة وأصبحت مكملة لها ، ولذلك يسمون التوارة بالعهد القديم .

وعموم الشريعة الإسلامية وبقاءها ، وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالنقص والزيادة ، كل ذلك استلزم أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادؤها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان ويفي بحاجاتهم ولا يضيق ولا يتخلف عن أي مستوى عال وصحيح يبلغه البشر بل بلوغ درجة الكمال البشرى المقدور إنما يحدث بالإستقامة على دين الله لا شئ سواه ، والعليم الخبير هو الذي جعلها عامة في المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)** ﴾ [الملك : ١٤] ، ويقول النبي ﷺ : « **فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بين النبيون** » [١] .

فجاءت الأحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان ، ومهيئة للبقاء والاستمرار ، تحقق مصالح العباد في العاجل والآجل والدنيا والآخرة ، وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار في العاجل والآجل أيضاً حتى قال بعض العلماء : إن الشريعة كلها مصالح إما درأ مفاسد أو جلب مصالح ، والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعدم مخالفة شرع الله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)** ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**

---

(١) رواه مسلم .

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ [المائدة : ٩١] .

ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات ، كإباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر ، والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها ، كإباحة أكل الميتة لمن خاف الهلكة ولم يجد مباحاً ، والضرر يزال ، ولا ضرر ولا ضرار .

وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهي :

« الدين والنفس والعقل والنسل والمال » ولحفظ الدين شرع الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم ، ولحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتحريم إلقاء النفس في التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها ، وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات ، والنسل شرع الإسلام لإيجاده الزواج ولحفظه عقوبة الزنى والقذف وحرمة إجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر بإتفاق العلماء ، ولحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله أنواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك وشرع لحفظه حرمة أكل مال الناس بالباطل أو إتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفيه وتحريم الربا وعقوبة السرقة .

كما وردت النصوص أيضاً بتحصيل حاجيات الإنسان « كالطلاق إذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق » والتحسينات « كالطهارة للبدن والثوب ، وستر العورة والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه ، والنهي عن قتل النساء والأطفال في الحروب » .

يقول ابن القيم - رحمه الله - عن شريعة الله :

« مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه » أ . هـ .

ولا يمكن أن نغلق باب الاجتهاد أمام من تمهدت له أسبابه وحصل أدوات الاجتهاد ، والنظر في كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ ، والشريعة بما حوت من مبادئ

« كالشورى والمساواة والعدل وإزالة الضرر » وأحكام تفصيلية في كل ناحية من نواحي الحياة لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس المشروعة ، ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية في أي زمان ومكان .

ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهي الكتاب والسُّنة ، أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها ولله الحمد جاءت في غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شئ جديد إلا وللشريعة حكم فيها بالنص الصريح أو بالإجتهاد الصحيح ، وبالتالي لا تضيق الشريعة بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة ، والصحابة ﷺ كانوا إذا لم يجدوا نصاً قاسوا الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر .

[٤] الجزاء :

وخاصية الجزاء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى ، فمن أذنب فعليه أن يبادر بالتوبة ، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ، ويشرع الستر على الإنسان إذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش « **من أتى شيئاً من القاذورات فليستتر بستر الله فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله** » ، وفي رواية أبي داود يقول النَّبي ﷺ لهزال – وهو الذي أتى بماعز الأسلمي لرسول الله ﷺ لما زنى – : « **لو سترته بثوبك لكان خيراً** » ، ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾[النور : ١٩] .

ولا يجب على الإنسان أن يذهب إلى الحاكم لإقامة الحد عليه إذا زنى مثلاً لأن النَّبي ﷺ أرجع ماعز والغامدية مرة بعد أخرى ، وفي الحديث : « بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى : أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف – قال : « **فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر** »[1] ، والتوبة تمحو

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

كل ذنب كفراً كان أو دونه ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال: ٣٨] ،﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)** ﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] .

ونحن لا نفـرح بكثـرة عـدد المحدودين أو المرجـومين ، ولا يصح أن نأخـذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات ، وروى ابن حزم بسند صحيح : « أن عبد الرحمن ابن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهي أعجمية لا تفقه ، وكانت ثيباً فحملت ، فأرسل إلى عمر بن الخطاب فسألها : أحبلت ؟ قالت : نعم من مرعوش بدرهمين ، فاستشار عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، فقال عليٌّ وعبد الرحمن : وقع عليها الحد أي الرجم . فقال عثمان : أراها تستهل به كأنها لا تعلمه ، وليس الحد إلا على من علمه ، فقال لعثمان : صدقت والذي نفسي بيده ما الحد إلا على من علمه » ثم أمر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها في السؤال عن الحرام والحلال في أمر دينها ، وورد في صحيح البخاري « أن امرأة بالمدينة كانت تظهر في الإسلام السوء » وفي رواية أخرى : « كانت أعلنت في الإسلام » ، وفي رواية لابن ماجه : « فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها » ولكن لما كانت جريمتها بدون بينه قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النَّبي ﷺ قال عنها مرة : « لو كنت راجماً بغير بينة لرجمتها » .

ومن عجيب الأمر أن قطاعاً من الناس إذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى الغربة التي وصل إليها الحال ومدى الضياع الذي وصلت إليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسُّنة نبيها ﷺ ، غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحي الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة أيضاً من معنى الجزاء في الإسلام والأصل في الجزاء أنه عقاب أخروي﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [آل عمران : ٣٠] ،

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨]، وهذا من أعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفة والعصيان، وربنا جل وعلا أحق أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر .

والجزاء الأخروي لا يمنع الجزاء الذي يوقعه الحاكم على المخالف لأحكام الإسلام ، والجزاء في الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء في الآخرة عن المخالف العاصي إلا إذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح ، فلا إصرار على الذنب ، بل يندم على ما مضى ، ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية ، وقيل : أن يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقلع بالجوارح، والمؤمن يعلم أنه لو أفلت اليوم من الجزاء الدنيوي فلن يفلت غداً من الله ، فهو مالك الدنيا والآخرة ، والخلق خلقه ، والعبد عبده ، والأمر أمره ، وليس يخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ، ولا من ملكه إلى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه لإقامة الحد عليه ولاستيفاء الحق منه ففي رواية لعمران بن حصين في صحيح مسلم « أن النَّبي ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر : يارسول الله أتصلي على هذه الزانية ؟ **قال ﷺ** : « **لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم** » [(١)] ، وفي رواية بريدة « أن النَّبي ﷺ أمر برجم الغامدية ، فرجموها ، **فأقبل** خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فقال النبي ﷺ : « **مهلاً ياخالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له ، ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت** » [(٢)] .

ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ، ومن ثم تعلق الجزاء في الإسلام بمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها في الآخرة ،وقد يكون لها جزاء في الدنيا أيضاً ، ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغني والفقير والرئيس والمرءوس لا بد وأن يسعد في الدنيا قبل الآخرة .

---

(١)، (٢)رواه مسلم .

[٥] الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية :

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن أخواتها من صفات هذا الدين ، الذي امتن علينا ربنا ، وشرفنا بالانتساب إليه ، وأن نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال ، وتوازن واتزان ، حتى وإن رماه الملاحده بالتخلف والرجعية والجمود ، ونسبوا لأنفسهم – حين نادوا بالديمقراطية وغيرها – الفلسفات والمناهج – أنهم أصحاب دعوات تطورية وتحضرية وتقدمية ، وأنهم يريدون أن يعيشوا حضارة القرن العشرين ، ونحن بشر ولسنا ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، نصيب ونخطيء ، فإن وافقنا الحق فذلك فضل من الله ، وإن خالفناه فمن أنفسنا ومن الشيطان والله منه برئ .

ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها ،ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ، فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الحج : ٧٨]، فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان ، وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم ، ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات إلى مستحبات والمعاصي تتفاوت كذلك من أكبر الكبائر إلى الصغائر ، والتقوى لها أصل وأساس ، وهي أن يفعل العبد الواجبات وينتهي عن المحرمات ، فإذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾ [فاطر : ٣٢]، والظالم لنفسه هو الذي غلبت سيئاته على حسناته، وهذا قد يدخل النار ، ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ، ولا يعذب فيها عذاب الكفار، ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)** ﴾ [القلم : ٣٥، ٣٦] ، والمقتصد هو الذي تساوى حسناته مع سيئاته ، وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقف بهم ، ثم يؤمرون فيدخلون الجنة ، والسابق بالخيرات هو الذي غلبت حسناته على سيئاته ، وهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهله ، فالعباد يتفاوتون تفاوتاً

عظيماً في الدنيا والأخرة ، وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله** » (١) .

وكما قالوا : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس في أكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين ، والأولياء يتفاوتون أيضاً في درجات الولاية بحسب إيمانهم وتقواهم ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)** ﴾ [يونس : ٦٢] ، والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه ، والإحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وهؤلاء كان معهم أصل الإيمان الذي منعهم من الدخول في عداد المنافقين ، ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذي يستحقون به الدخول في هذا المعنى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات : ١٥] .

والعبد الذي يتابع الفرائض بالنوافل يصل إلى درجة المحبة،كما في حديث الولي : « **وما تقرب إليّ عبدي بشئ أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** » (٢) ، والرجل عندما أتى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام فبين له الرسول ﷺ أركان الإسلام ، فانطلق الرجل وهو يقول : والله لا أزيد ولا أنقص منه شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « **أفلح إن صدق** » (٣)، والمستوى الأرفع والأعلى حببت الشريعة إلى الناس بلوغه ، ولكن لم توجبه عليهم ، وإلزامهم جميعاً به في كل وقت فيه حرج ، والحرج في الشريعة مرفوع ، وهذا من واقعية الإسلام ، وهذا المستوى العالي يشمل فعل المستحبات والمندوبات وترك المكروهات، فالصلاة والصيام والزكاة

---

(١) رواه أحمد ، وهو حسن ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عمر ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني : وهو كما قال .

(٢) ،(٣) متفق عليه .

والحج منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب ونافلة كصلاة الظهر والنوافل قبلها وبعدها ، وصيام رمضان الواجب ثم صيام الإثنين والخميس مثلاً مستحب .

وفي الإعتداء تجوز المعاقبة بالمثل ، والعفو والصبر أفضل ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ** (١٢٦) ﴾ [النحل : ١٢٦]، والكلام بالباطل حرام يجب تركه ، وهذا من معاني المستوى الأدنى ، ثم الثرثرة وكثرة الكلام بما لا يفد ولا ينفع مكروه ، وإن لم يكن فيه باطـل ، لما ورد في الحديث : « **اتق الله حيثما كنت** » [١] ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » [٢] ، فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه وتركه أفضل ، وهذا من معاني المستوى الأعلى .

وقد رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهديد بالقتل مثلاً إلا أن العزيمة في مواطن إظهار الدين أفضل ، ومن واقعية الإسلام إيجاد المخارج في أوقات الشدة والضيق أو في أحوال الإضطرار ، كالفطر في رمضان للمريض والمسافر ، وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعدة أو نام « **صلّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطيع فعلى جنب** » [٣] ، ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة ١٨٥]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شئ قط إلا أن تنتهك حرمه الله فينتقم لله تعالى** » [٤] .

وقد نهى الإسلام عن الإفراط والتفريط ، والغلو والجفو ، والإسراف والتقصير ، وخير الأمور الوسط ، فلا رهبانية في الإسلام ، وتعذيب الجسد وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام ، فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة رسول الله ﷺ ، فلما

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه البخاري .
(٤) متفق عليه .

علموها وكأنهم تقالوها ، فقال الأول : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثاني : وأما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أتزوج النساء ، فلما علم النَّبي ﷺ بذلك قال : « **أما والله إني لأتقاكم لله ، وأكثركم له خشية : أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وهذه سُنَّتي ، ومن رغب عن سُنَّتي فليس مني** » [١] ، أي ليس على هدى أو طريقتي المحمودة، وليس له أيضاً أن يعيش حياة البهائم السائمة، فيتلـذذ بالحرام ولا يلتفت لدين ، بل الواجب أن تحل ما أحل الله ، وأن تحرم ما حرم الله ، وأن تعظم حرمات الله ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)** ﴾ [الحج : ٣٢] ، ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا** ﴾[هود : ١١٢] ، وأن نعيش حياة الإعتدال ، وقد قال النَّبي ﷺ لعبد الله بن عمرو : « **ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل** » ، قلت: بلى يارسول الله ، **قال** : « **فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك** – أي لمن يزورك من الأصدقاء – **عليك حقاً** » [٢] .

فيجب أن يحرص على شمول النظر ، ونتأسى في ذلك بخير القرون ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون في المسجد ، ويحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وفي حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين ، وعند الجهاد يقاتلون ، وعند الشدائد والمصائب يواسون ، ويساعدون ، وهكذا كان شأنهم في جميع الأحوال ، فالخير كل الخير في الرجوع لكتاب الله ، ولسُنـة رسـول الله ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)** ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، ونحن في هذا المنهج لا نحتقر طاعة ، ولا نستهين بمعصية وإن دقت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾[البقرة : ٢٠٨]، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، وفي الحديث : « **اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » [٣] .

(١) متفق عليه . (٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم .

الديمقراطية

معناها - نشأتها - مبادئها

الديمقراطية معناها الحرفي : « حكم الشعب » أو حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه ، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب ، وتحكم أيضاً باسم الشعب ، والشعب باختياره الحر يقوم بتنصيب حكامه ، فالشورى وانتخاب الحكم ومناقشة رئيس الدولة هذه هي الديمقراطية وهي تستلزم وتتضمن إعطاء الحريات للناس مثل :

[١] حرية العقيدة . [٢] حرية الرأى .

[٣] حرية التملك . [٤] الحرية الشخصية .

والديمقراطية نظام مأخوذ من النظام اليوناني القديم ، وقد ارتبطت الديمقراطية بمبدأ سياسي واقتصادي ، وهو الليبرالية والرأسمالية .

تعريفات لا بد منها :

[١] الليبرالية :

« معناها الحرفي – الفكر الحر » وتقوم على العلمانية «أي اللادينية ، وليست مأخوذة من العلم » التي تفصل الدين عن الدولة ، فالدين لله والوطن للجميع ، وتدعو لحرية المرأة والتبرج والإختلاط ، وأن يكون الإقتصاد رأسمالياً ، وأن تكون النزعة قومية عنصرية ، والغرب يدين بهذا المنهج ، وقد قامت أحزاب على أساسه كحزب الوفد .

[٢] الرأسمالية :

نظام اقتصادي غربي وله عقيدته التي تقوم على العلمانية « اللادينية » – وكل نظام له عقيدة – وهذا النظام يطلق عليه البعض أحياناً اسم نظام إمبريالي « أي

استعماري » ، وأصحاب رؤوس الأموال يطلق عليهم إسم الطبقة البرجوازية .

[٣] الرأسمالية والإشتراكية وجهان لعمله واحدة :

وكلاهما وليدة اليهودية العاملية ، وكل نظام يسعى لحمل الآخر إذا سقط وفشل وفق سياسات محسوبة ، والبروليتاريا « هي الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين » وهي التي يقولون عنها أنها تناضل من أجل إنتزاع حقها من البرجوازية والإمبربالية .

تحذير لابد منه :

فقد وفدت علينا ألفاظ ومصطلحات كثيرة مستوردة مع الغزو الفكري ، واختلفت كذلك كثير من المصطلحات الإسلامية ، وتكلم بهذه الكلمات الوافدة كالليبرالية وغيرها أحياناً من لا يتهم في دين ولا صدق نية ،كانوا ضحايا الفكر العلماني الوافد ، بل ولم يسلم حتى أصحاب المدرسة العقلانية كمحمد عبده وغيره من هذه الهجمة الشرسة ، فالواجب علينا تحرى استعمال المصطلحات الإسلامية وأن نزن كل كلمة بالميزان الشرعي ، هذا إذا أردنا إقامة البشرية على المنهج الرباني لا إقامة خليط من هذه المناهج والمفاهيم المتضادة ، وأن نعلم أنه لا إلتقاء بين الحق والباطل ، ولا بين الهدى الضلال ، ولا بين الإسلام والكفر ، وأن الكفر ملة واحدة سواء كانوا نصارى أو يهود أو مشركين وثنيين أو شيوعيين ، وأنه لابد من البراءة من الشرك والمشركين ، وإقامة الحنيفية السمحة ملة الإسلام الذي ارتضاه ربنا للعالمين .

لا مشاحة فى الإصطلاح :

هذا إذا كان الإصطلاح لا يصادم ما جاء في كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ ، ولكل مصطلح معنى متفق عليه عند أهله ، فإذا كان الإصطلاح يخالف معناه في الإسلام من معان، فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه وأن قيد بوصف إسلامي له، كما يحلو للبعض أن يصنع فيضيف الإسلام للفن أو الإشتراكية أو الديمقراطية على سبيل الترويج لهذه البضائع الفاسدة ، وإلا فما علاقة الإسلام بالإشتراكية الشيوعية ،

وما علاقة الإسلام بهذا الفن الرخيص من عري وخلاعة ورقص وغناء وفحش وتفحش ؟!! فالواجب على كل مسلم أن يتقي الله في أقواله وأفعاله : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (١٨) ﴾ [ق : ١٨] .

وقد حذرنا رب العزة جل وعلا من النطق بكلمة راعنا لأن اليهود ينطقون بها وكانت فيهم قبيحة فقد كانوا يقصدون بها التنقص من شخص رسول الله ﷺ فقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا** ﴾ [البقرة : ١٠٤] ، وعلى الرغم من أن المسلم لا يمكن أن يكون مقصوده كمقصود اليهود وبالرغم من هذا كان التحذير والنهي « **ومن تشبه بقوم فهم منهم** » [(١)] ، ولابد من صحة العلم بالإضافة لإخلاص النية ، واللغة العربية هي لغة القرآن والقرآن نزل ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** (١٩٥) ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ، فلا داعي لترويج كلمات وافدة مستوردة لا ندري ما معناها ولا ما يراد من ورائها ، وترديد كلمات كالديمقراطية فيه ترويض للعقول بقبول الديمقراطية بمعناها الحقيقي ، وقد أمرنا بمخالفة أهل الباطل ، والإبتعاد عن آرائهم الزائفة .

يقول الأستاذ محمد قطب في كتاب « واقعنا المعاصر » (ص ٣١٤) أثناء حديثه عن سعد زغلول :

« هنا ينبغي أن ترجع إلى لطفي السيد ، وإلى نازلي هانم ، وأثر الصالون بعامة في قلب الرجل الأزهري دارس الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي « يقصد بذلك سعد زغلول » ، فإن كرومر لم يضعه في وزارة المعارف إلا بعد أن اطمأن إلى تهذيبه في الصالون ، هذه واحدة ، ثم كان سعد هو الوكيل المنتخب لمجلس شورى القوانين بحكم « شعبيته» الذائعة الصيت،وينبغي أن نعرف أولاً ما هو مجلس شورى القوانين ، إنه في ظاهره مجلس نيابي لتعويد الشعب أن يحكم نفسه بنفسه ، وما كان الإنجليز حريصين قط – في أي بلد احتلوه – على أن يردوا السلطة للشعب الذي اغتصبوا

(١) أخرجه أحمد ، قال الألباني : إسناده حسن .

حريته وأخضعوه لهم بالحديد والنار ، إنما كان الهدف الحقيقي من هذا المجلس هو إصدار قوانين تحكم البلاد بدلاً من الشريعة الإسلامية ، وما كان الاستعمار الصليبي – في مصر خاصة – يرغب أن يستقل بسلطة إصدار القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ، رغم ما له من سلطان كما صنع في الهند مثلاً لأن مصر بلد الأزهر ، وبلد علماء الدين لعدة قرون ، ومن الخير له حسب أسلوبه الذي اتبعه في مصر ، الإسلوب البطئ الأكيد المفعول أن تكون هناك سلطة « شعبية » هي التي تعطي الشرعية لهذه القوانين، فيكون الشعب هو الذي يصدر القوانين المخالفة للشريعة بمعرفته وبرغبته ، وتكون سياسة الاستعمار هي التظاهر بالغضب والإستياء من أن الشعب يريد أن يفرض إرادته على المستعمرين ، وفي وسط اللعبة تمر القوانين المطلوبة كأنها كسب للشعب جاء رغم إرادة الاستعمار ، وكان للمجلس وكيلان ، أحدهما معين والآخر منتخب ، وكان الوكيل المنتخب هو سعد زغلول فقد كان له في ذلك الوقت من الشهرة الشعبية ما يجعله ينتخب بسهولة في ذلك المكان ، نعم كان هو الممثل الشعبي الذي يعبر – بمنصبه هذا – عن كون الشعب ممثلاً في المجلس ، ولكن أي شعب كان يمثله سعد وهو يصوغ القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ويمنحها الشرعية ، هل هو شعب مصر المسلم الذي ينبغي بمقتضى إسلامه أن يتحاكم إلى شريعة الله ويرفض التحاكم إلى كل شريعة غير شريعة الله ؟ وبصرف النظر عن حال الشعب يؤمئذ – من إقبال على الإسلام أو إدبار أو إهمال هذه القضية بالكلية ، فإن سعداً ليس فرداً عادياً من الشعب بل هو قائد وزعيم ، والقيادة معناها توجيه الأمة إلى ما ينبغي أن تتجه إليه وإيقاظها له إن كانت غافلة عنه وتجنيدها له بكل طاقاتها حتى تصل إلى تحقيقه – وسعد بثقافته – ليس بعيداً عن مجال الشريعة ، بل هي مجال دراسته في الأزهر ، فأين ذهبت حساسيته للإسلام حتى صار موضوع فخره أنه الوكيل المنتخب للمجلس الذي يصوغ القوانين الوضعية لتحكم الناس بدلاً من الشريعة الإسلامية ؟! » أ . هـ .

الديمقراطية العلمانية اللادينية ومبدأ فصل الدين عن الدولة

الفارق كبير بين الإسلام والديمقراطية أو العلمانية ، يظهر ذلك في المنشأ والطريق والغاية ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)** ﴾ [الملك : ٢٢] ، والبصيرة تقتضي منا أن نستصحب هذه الموازين والضوابط التي تكلمنا عنها في حكمنا على الديمقراطية وما تنطوي عليه من مبادئ، وللإسلام حكمه في كل شئ ، وهو يعلو ولا يُعلى عليه ، بما فيه من سمات الربانية والعموم والشمول وغيرها ، ومن لدن آدم حتى قيام الساعة لا يمكن أن تسعد البشرية بدونه ، وبحسب إنحرافها عن منهج الإسلام بحسب الضنك والشقاء الذي تعانيه ، ولو جاز لنا أن نلتمس عذراً للغرب أو الشرق في تباعده عن دين الله ومناداته بهذه المناهج والفلسفات ، فإننا لا نجد عذراً لهذه الأمة في الإنسلاخ عن دينها ومتابعتها للكفرة والملاحدة في فصل الدين عن الدولة ، وإسلامها يناديها من يوم بدر وأُحد ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ . [آل عمران : ١٤٤] .

ومعلوم للقاصي وللداني أن النبي ﷺ أقام دولة بالمدينة واتسعت رقعتها في عهده وعهد الخلفاء من بعده،وكان يحكم بالإسلام لا بشئ سواه في نواحي الحياة المختلفة .

يقول النبي ﷺ : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت** » (١) .

وإذا كانت معاني الخيرية قد قلّت في الأمة جيلاً بعد جيل ، إلا أن حكام المسلمين كانوا يحرصون على الحكم بكتاب الله وبسُّنة رسول الله ﷺ ، وإن وجدت

(١) رواه أحمد والطبراني والبزار ، « انظر السلسلة الصحيحة للألباني – رحمه الله – » .

أخطاء في التطبيق وظلم وجهل في بعض الأحيان ، فالعيب فينا وليس في شرع الله عز وجل ، وعلى العباد جميعاً أن يستقيموا على أمرْ ربهم إن أرادوا سعادة وفلاحاً في الدنيا والآخرة ، وقد استخدم أعداء الإسلام عيوب المسلمين وأخطائهم في التشهير بالإسلام ذاته ، والتنفير منه حتى يتيسر لهم إقصاءه عن الدنيا وحكمها ، وكأن علاج المريض هو البتر والإهلاك ، ولا سبيل لإصلاح العوج والخلل .

صنعوا ذلك مع الخلافة العثمانية والعباسية والأموية ، بل وامتدت أيديهم إلى تزييف وتشويه وتدليس صور صحابة النّبي ﷺ الكرام الذين نقلوا لنا الإسلام ، فدرسوا لنا قصة الخلاف بين عليّ ومعاوية وكذبوا على صحابة النّبي ﷺ حين صوروهم على أنهم طالبوا ملك ورئاسة يتنازعون على ذلك، ويحتال بعضهم على البعض الآخر ، وانحصر تاريخ الأمة بعد ذلك في قصة هارون الرشيد والخلافة العباسية –خلافة الفسق والمجون كما ذكروا –والخلافة العثمانية التي هي خلافة الجهل والفقر والمرض !! وأصبح لزاماً على أبناء الأمة المسلمة أن يتطلعوا لتاريخ الشرق والغرب المجيد ، وإلى عظمة الرجل الأبيض وحضارته ، ولكي يتم لهم التقدم والتطور فعليهم أن يقلدوا الغرب ، ولا سبيل لذلك إلا بفصل الدين عن الدولة ، فيقبع الإسلام داخل المسجد بمن يسمون رجال الدين ، وتحكم الدولة بعد ذلك بمن يسمون رجال الدولة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » أو الدين لله والوطن للجميع ، ثم إذا طالب الناس بالعودة والرجوع لدين الله قالوا لهم : هل تريدون منا أن نعود لعهد هارون الرشيد أو عهود الديكتاتورية والرجعية والتخلف ؟!! ، وأصبحت الديمقراطية هي الحل البديل، والعلمانية اللادينية هي سبيل الإصلاح عند قوم قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

العلمانية والعلمانيون في العالم العربي الإسلامي :

أصبحت الآن العلمانية هي اللافتة المرفوعة على أنظمة الحكم في معظم بلدان العالم العربي والإسلامي ،وأصبح يروج لها بكل وسائل الإعلام ،ويدعو ويبشر بها كتاب وساسة ومفكرون، وتقوم على أساسها أحزاب تحمل مبادئها ومن دعاتها : « أحمد لطفي السيد – إسماعيل مظهر – قاسم أمين – طه حسين – عبد العزيز فهمي –

ميشيل عفلق – أنطون سعادة – سوكارنو – سوهارتو – نهرو – مصطفى كمال أتاتورك – جمال عبد الناصر » وغير هؤلاء كثير ممن لا يزالون أحياء ينفثون سمومهم في جسم هذه الأمة .

يقول لطفي الخولي : « أحد دعاة العلمانية المعاصرين » في ندوة مناقشة ما يسمى بالتطرف الديني ، وكان العلمانيون قد تجاذبوا أطراف الحديث وأدلى كل منهم بدلوه حتى وصل الكلام إليه يقول : « مناقشتنا وصلت إلى نوع من الإلتقاء على حل إيجابي هجومي يمكن أن نصوغه في أنه لابد أن تقام جبهة فكرية سياسية في العمل السياسي تتبنى مشروع التقدم والنهضة أي في إقامة الجبهة الوطنية التقدمية من خلال حركة ديمقراطية تعتمد الديمقراطية في التغيير » .

وقد بدأت العلمانية في أوروبا ، وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م ، وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر ، وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتنصير الذي يطلق عليه اسم التبيشر– وفي مصر أدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م، وكان هذا الخديوي مفتوناً بالغرب وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

الجذور الفكرية والعقائدية العلمانية اللادينية :

[١] العداء المطلق للكنيسة بصفة خاصة ، وللدين بصفة عامة أياً كان سواء وقف إلى جانب العلم أو عاداه ، ومعلوم أن العلمانية ولدت في أوربا إثر الصراع بين العلم المادي التجريبي والكنيسة بخرافاتها وخزعبلاتها وفسادها باسم الكهنوت وبيع صكوك الغفران وتحريقها لكثير من علماء المادة الذين خالفوها ، ترتب على ذلك إنهزام الكنيسة في النهاية أمام العلم المادي التجريبي وظهرت المقولة بفصل الديـن عن الدولة ومقولة : « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

[٢] لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية وإبراز العلمانية حتى يتيسر لهم السيطرة على أمم الأرض بعد تكسير حاجز الدين في نفوس العباد ، ومعلوم أن اليهود يسعون من أجل إقامة دولة اليهود العالمية عاصمتها القدس ، ولذلك ولدوا

الثورات كثورة فرنسا بمبادئها التحررية،وصدروا هذه المبادئ الخربة للعميان ، واستخدموا في ذلك أذناباً لهم، وما زالوا حتى هذه اللحظة يعممون نظرية العداء بين العلم من جهة والدين من جهة أخرى على الرغم من أن الإسلام لم يقف ضد العلم والأخذ بأسباب التحضر والتقدم كما وقفت الكنيسة ، ويكفينا قول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ، وقول النَّبي ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** » [١] .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] ،وذلك في كل ناحية من نواحي الحياة ، وقد أطلق بصر العباد ، وحث على التدبر والتفكير في ملكوت السموات والأرض ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران : ١٩٠]، وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ و ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، والإعجاز العلمي في القرآن أظهر من أن يجحده أحد ، وما من حقيقة ثبت في الكون ويتعرف عليها الخلق إلا وهي موافقة للسنن الشرعية ، وإن كان القرآن ليس كتاباً للفلك أو الأحياء ، إنما كتاب هداية ورشاد ، والعلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كائناً من كان ، والواجب على الأمة أن تسعى لإقامة حضارة على منهج العبودية لله جل وعلا ، والتسليم لحكمه سبحانه لا لحضارات القلق هذه الزائفة التي قامت على أساس الكفر العلماني اللاديني ، والتي أوشكت بل أعلنت إفلاسها ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام : ٤٤ ، ٤٥].

الأفكار والمعتقدات العلمانية :

[١] بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً ، وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين منهج الله وبين حياة الإنسان .

---

(١) رواه مسلم .

[٢] الحياة تقوم عندهم على أساس العلم المطلق ، وتحت سلطان العقل والتجريب .

[٣] إقامة حاجز كثيف بين الروح والمادة والأخلاق أو القيم الروحية كما يسمونها هي قيم سلبية .

[٤] فصل الدين عن السياسة ، وإقامة الحياة على أساس مادي .

[٥] إعتماد مبدأ المكيافلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .

[٦] نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ،وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى، **وفي بلدان العالم العربي والإسلام ركزوا في هجومهم وتزييفهم على عدة معان منها :**

- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .
- الزعم بأن الإسلام قد استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .
- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ، ويدعوا إلى التخلف .
- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .
- تشويه الحضارة الإسلامية .
- تضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ، والزعم بأنها حركات إصلاح كالمعتزلة والخوارج .
- إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية في مصر ، والبابلية في العراق ، والأشورية في الشام ، والإهتمام بالحفريات القديمة .
- إقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ، ومحاكاته فيها ، وإرسال البعثات إلى الخارج دون أسس أو حصانة شرعية ، ثم يعودون صرعى الفكر العلماني ليقودوا الأمة قيادة لادينية ، في الوقت الذي حصلوا فيه على أعلى الشهادات العلمية .
- تربية الأجيال تربية لادينية ، وذلك حتى تتخرج أجيال يقودون البلاد والعباد

قيادة علمانية بعد ذلك ، ولذلك أصبحت المدارس إما مدارس علمانية ، وإما مدارس تبشيرية « أي تنصيرية » ، وقد رفض الشيوعيون كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوماً برجوازية كما يقولون ، وشعروا بحاجاتهم إلى بناء كافة العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللينينية بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين إلى روسيا ليتعلموا وفق هذه المفاهيم ، وحتى يسهل عليهم قيادة البلاد قيادة إلحادية بأمثال هؤلاء الذين تربوا على مؤائدهم .

فنحن في أمسّ الحاجة إلى إعادة صياغة المناهج التعليمية والتربوية وفق كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ ، وفارق كبير بين الصياغة الإلحادية التي تخرج أجيالاً من الملاحدة ، وبين الصياغة الإيمانية التي تخرج علماء مؤمنين يتكلمون بلسان المسلمين ، ويفكرون بعقليتهم ، ويقودون البلاد قيادة إيمانية يتأسون فيها بخير القرون ، وبمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، فمن قال : أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم ، كان الرد أن يمتلك المسلمون القوة وأن يتعلموا ، ومن قال: أن الإسلام لا يصلح لحياة الناس ، كان الرد هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي ، وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً ، وليس الدليل في كل وقت كلاماً ، فالعالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وإقامة دليل للرد على كل شبهة أما إذا أصبحت الكتب والأوراق فقط هي الميدان الذي نحارب من خلاله ، فإننا ولا شك نخسر المعركة ، فالرد يكون كلاماً في مقابلة الكلام ، وعملاً في مقابلة الأعمال ، فإذا أفرزت العلمانية والإلحاد إنحرافاً ونجاسة فيجب على التوحيد أن يوجد طهراً واستقامة ، وإذا كانت هذه النظم الوضعية تعني الظلم ، فالتوحيد يعني العدل ، فالعدل يجب أن يكون واقعاً ومحسوساً ، والإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس مجرد قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك ، ويوم نملك لكل شبهة جواباً يراه الناس أفعالاً لا كلاماً فقط ، حينئذ نستطيع بحول الله وقوته وتوفيقه أن نقضي على هذه المناهج والزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر .

الديمقراطية
وقضية الحكم بما أنزل الله

الديمقراطية وفق تعريفها تعني حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه ، وأن الشعب هو مصدر السلطات سواء كانت تشريعية أو قانونية أو تنفيذية ، فالديمقراطية عبارة عن نظام للحكم يقوم على أساس أن الشعب هو مصدر السلطات ، وإعطاؤه حق تشريع الأنظمة والقوانين ، وهذه مصادمة واضحة بينة للشرع والعقل والواقع في آن واحد ، وذلك لأن التشريع حق لله وحده ، والسلطة التشريعية لابد من الرجوع بها لكتاب الله ولسُّنة رسوله ﷺ ﴿ **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** ﴾ [الرعد : ٤١] ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾[الشورى : ٢١] ، ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٤٠] ، ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٦]، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)** ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] .

إذاً فهذه السلطة مصدرها الشرع لا الشعب ، ولا بأس بأن نسن النظم الإدارية والتي تقوم على البساطة والسرعة في إنجاز الأعمال وتتحقق بها مصلحة البلاد والعباد ، ولكن دون مصادمة أو مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسول الله ﷺ كقانون المرور مثلاً فهو نظام مطلوب للحفاظ على أرواح الناس وتيسير سبل الحركة في الطرق ، وهذه شبيه بقانون الجند والدواوين الذي أنشأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والواجب علينا التفريق بين النظام الشرعي ، والنظام الإداري ، وإلا فكثيراً ما يخلط الناس بين هذا وذاك ، الأمر الذي يسهل على المغرضين في النهاية التشكيك والتشويه فلا يجوز شرعاً إنشاء مجالس تشريعية تبحث في الربا نتعامل به أم لا ؟ وفي الخمر تمنع أم لا ؟ ، ونعرض ذلك على عقول البشر ، فمهمة العقل أن يفهم الشرع وأن يستسلم لحكم ربه ويحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله جل وعلا

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[المائدة : ٤٩] ، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة:٥٠]، وتقتصر دور هذه المجالس على سن القوانين الإدارية فقط التي لا تخالف شرع الله ويراعى فيها تحقيق المصالح ودرء دوفع المفاسد .

ثم السلطة القضائية فالمصدر فيها يجب أن يكون الشرع لا الشعب ، والقضاة يجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله وليس لهم أن يحكموا بقوانين وضعية أو نظم كفرية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه « منهاج السُّنَّة النبوية » :

« ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعادتهم التي لم ينزلها الله تعالى وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي أن يحكم به دون الكتاب والسُّنَّة وهذا هو الكفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار » .

وقال : « ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله لا بين المسلمين ولا الكفار ولا الفتيان ولا رماة البندق ولا الجيش ولا الفقراء ،ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾ [المائدة : ٥٠] ، ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥] ، فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله فيما شجر بينهم ، ومن حكم بحكم البندق وشرع البندق أو غيره مما يخالف شرع الله وشرع رسوله وحكم الله وحكم رسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذي يقدمون حكم «الياسق» على حكم الله وحكم رسوله ،ومن تعمد ذلك فقد قدح في عدالته ودينه » أ . هـ .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

« من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ ، فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه » ، وقال عن الطاغوت : « الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله » أ . هـ .

فالحاكم الجائر المغير لأحكام الله طاغوت يقول تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠)** ﴾ .

[النساء : ٦٠].

ويقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى :

﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ .

[المائدة : ٥٠] .

يقول : « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاح التي وصفها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من

السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب وسُنَّة الرسول ﷺ » .

ونحن إذا نظرنا في اللجان القانونية فسنجد في كل لجنة مقرر ، والذي يضع النظام أو القانون فرد وتقره اللجنة بعد ذلك أو تعترض عليه ، إذاً فالتشريع للبشر أصبح حكراً على واحد أو بضعة أفراد هؤلاء أصبح يطلق عليهم اسم المشرعين وهذا حدث في وضع القانون المدني المصري الذي وضعه الدكتور / عبد الرزاق السنهوري المصري والأستاذ / إدوارد لامبير الصليبي الفرنسي ، وقد عاون في وضعه الصليبيان استويت وساس وأخذ أكثر من ٨٥٪ من نصوصه من قوانين الكفار الصليبيين ، ولذلك نراه يبيح أحكاماً حرمتها الشرعية حرمة قطعية كالربا والقمار ، والنصوص القليلة التي أخذت من الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي روعي فيها أن تكون متفقة مع المبادئ التي قام عليها القانون ، فالقانون هو المهيمن على الشريعة الإسلامية يأخذ منها ما يوافقه ويرفض ما لا يتفق مع مبادئه .

يقول الدكتور السنهوري في هذا : « يراعى في الأخذ بأحكام الفقه الإسلامي التنسيق بين هذه الأحكام والمبادئ العامة التي يقوم عليها التشريع المدني في جملته ، فلا يجوز الأخذ بحكم في الفقه الإسلامي يتعارض مع مبدأ من هذه المبادئ حتى لا يفقد التقنين المدني تجانسه وانسجامه » .

وهكذا تكون أحوال العباد عندما ينصبون من أنفسهم حكاماً على دين الله يأخذون منها ما يوافق أصول التقنين الحديث ويتركون منها ما خالفه وكأنما حكم الله وشرعه مترك لأحكام البشر وأهوائهم ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [االبقرة : ٨٥] ، وهذا القانون الوضعي الذي

حكمت به البلاد لا يقره المسلمون ولم يقره رجال مصر يوم وضع ، وتمت المناقشات حوله ، ويذكر التاريخ وقفات طيبة للمستشار حسن الهضيبي – رحمه الله – والشيخ عبد الوهاب طلعت باشا وغيرهم في الرد على هذا القانون .

ثم نأتي بعد ذلك للسلطة التنفيذية وهي بيد الحاكم ، وبالتالي فعبارة الشعب مصدر السلطات ما هي إلا لفظاً إنشائياً ، لا واقع له في الحياة حتى لو كان الأمر كذلك فالسيادة إنما هي لشرع الله عز وجل والناس جميعاً حكاماً كانوا أو محكومين ، وسواء كانوا في السلطة التنفيذية أو القضائية يجب عليهم أن ينقادوا لشرع الله ، ويقودون الناس به « **وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والإمام راع وهو مسئول عن رعيته** » [(١)] .

ولا شك أن الحاكم دوره خطير ومسئوليته أعظم وبصلاحه واستقامته ينصلح خلق كثير ويستقيمون على أمر الله وكما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : « **إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن** » وليس له أن يتابع آراء أو أهواء البشر قلت أو كثرت إذا صادمت شرع الله وبحجة أن ينزل على إرادة شعبه ، هذا إذا كان الشعب يرفض الرجوع لدين الله فكيف ومطالبة الناس بتحكيم كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ مراراً أمر لا ينكره إلا من أعمى الله بصره وبصيرته وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة ، والحكم بغير ما أنزل الله تارة يكون مخرجاً من الملة وتارة لا يكون ، ومن خير من فصل القول في هذه المسألة وبينها العلامة الشيخ / محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية الأسبق كما بين ذلك الدكتور عمر الأشقر في كتابه القيم «الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية » يقول : « فقد ذكر رحمه الله أن الحكم بغير ما أنزل الله يقسم إلى قسمين كفر اعتقادي وكفر عملي ثم فصل القول في الكفر الإعتقادي ، وذكر أنه ستة أنواع فقال :

أما الأول : وهو كفر الإعتقاد فهو أنواع :

أحدها أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ، وهو معنى ما

(١) متفق عليه .

روى عن ابن عباس ﷺ، واختاره ابن جرير أن ذلك جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي ، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة .

الثاني : ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً :

لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال ، وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد، وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث ، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ نصاً أو حرفاً أو استنباطاً وغير ذلك،علم ذلك من علمه وجهله من جهله ، وليس معنى ما ذكر العلماء من تغير الفتوى بتغير الأحوال ما ظنه من قل نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها حيث ظنوا أنه معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية وأغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخطائة الوبية ، ولهذا تجدهم يحامون عنها ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها مهما أمكنهم ، فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه،وحينئذ معنى تغير الفتوى بتغير الأحوال والزمان مراد العلماء منه ما كان مستصحبه فيه الأصول الشرعية والعلل المرعية والمصالح التي جنسها مراد الله تعالى ورسوله ﷺ ، ومن المعلوم أن أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل ، وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مراداتهم كائنة ما كانت والواقع أصدق شاهد .

الثالث : ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله :

لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق ، والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشوري : ١١] ، ونحوها من الآيات الكريمة الدالة على تفرد الرب بالكمال وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

الرابع : ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله :

فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله ، فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لإعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه .

وقد أشار العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى الأنواع الثلاثة الأخيرة التي أشار إليها الشيخ فقال :

« إن ظن أن غير هدي النَّبي ﷺ أكمل من هديه أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهذا كافر يجب قتله بعد إستتابته لأن موسى لم تكن دعوته عامة ، ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى بل قال الخضر لموسى عليه السلام : إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » مجموع الفتاوى «٢٧ / ٥٨ » .

وفي هذا يقول صاحب الطحاوية : « إن اعتقد الحاكم أن الحكم بغير ما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهو كُفر أكبر » .

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع :

ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات ، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيره من القوانين ومن مذاهب بعض

البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك ، فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السُّنَّة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم ، فأي كفر فوق هذا الكفر ؟ ، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعده هذه المناقضة .

وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة لا يحتمل ذكرها هذا الموضع ، فيا معشر العقلاء ، ويا جماعات الأذكياء وأُولي النهى ، كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم وأخطاء أشباهكم أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصاً أو استنباطاً تدعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم ، وفي أهاليكم من أزواجكم وذرياتكم وفي أموالكم وسائر حقوقكم ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب ألا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات ، فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه لما فيه من الإستعباد لهم والتحكم فيه بالأهواء والأغراض والأغلاط والأخطاء فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل :

من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها سلومهم ، يتوراثون ذلك منهم ويحكمون به ويحرصون على التحاكم إليه عند النزاع

بقاءاً على أحكام الجاهلية إعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » أ . هـ .

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار أحكام وضعية ، وتعطيل لكل ما في شرعية الله بل بلغ الأمر مبلغ الإحتجاج على تفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة وإدعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشرعية إنما نزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها ، فأين هذا من قول ابن عباس كفر دون كفر في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ولم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها ، ثم الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل ، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة ، وإما أن يكون حكم بها هوي ومعصية ، فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة ، وإما أن يكون حكم به متأولاً حكماً يخالف به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب وسنة رسول الله ﷺ ، ولم يكن في زمن ابن عباس – رضي الله عنهما – والزمن الذي بعده حاكماً حكم بقضاء في أمر جاحداً لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام .

ويبقى الحديث بعد ذلك على هذه الصور الستة التي ذكرها الشيخ / محمد ابن إبراهيم – رحمه الله – وعدها مخرجة من الملة ، والتي هي ليست محلاً للنزاع أو الخلاف ، فتطبيقها على حاكم أو إنسان بعينه أمر يحتاج إلى نظر وحيطة فقد يكون القول كفراً ويطلق القول بتكفير قائله كما يقول النووي وابن تيمية فيقال : من فعل كذا فهو كافر ، ومن قال كذا فهو كافر أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه والتي يكفر من خالفها بعد ذلك ، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي بها الشبهات وتدرأ بها المعاذير ويحيي من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

وختاماً نقول :

أين الديمقراطية بقوانينها الوضعية وبإعطائها حق الخالق للمخلوق ، أين هي من شرع الله ومن دين الله ؟ فالديمقراطية شئ والإسلام شئ آخر ، وقد رأينا كيف مكنت هذه القوانين لأعداء الله في ديار المسلمين وهي عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها لأنها تتصف بصفات واضعيها من القصور والعجز والأنانية ولم تنظر إلى العقيدة والأخلاق ، فلا لقاء بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية ، ولا صلاح للبلاد والعباد إلا بتطبيق دين الله ، وتضييع الشريعة معناه أن تعود هذه الأمة إلى مثل الجاهلية الأولى أو أشد إلى مثل حرب داحس والغبراء تناطحاً على المكاسب الوطنية والزعامات القومية ، وإذا كنا حقاً نبتغي وحدة حقيقية للأمة الإسلامية فعلينا بتحكيم شرع الله وإقصاء القوانين الوضعية ، وإلا فكل مجموعة من الدول العربية تطبق قانوناً يختلف تماماً عن القانون الذي تطبقه الدول العربية المجاورة لها ، وعيب بمن خلق من مجرى البول مرتين وأوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين أوله وآخره يحمل العذرة، قبيح به أن ينصب من نفسه إلهاً مع الله يشرع من دون الله ويحكم بتشريعاته الوضعية في رقاب عباد الله ، فالتشريع حق الله وحده لا ينازعه فيه مخلوق ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [يوسف : ٦٧] ، ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص : ٨٨] ، ﴿ **لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص : ٧٠] ، والحلال ما أحل سبحانه ، والحرام ما حرم ، والدين ما شرع ، والخلق خلقه والأمر أمره والعبد عبده ... يقول سبحانه : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** (١٨) ﴾ [الجاثية : ١٨] ، وقد صرحت الآيات أن طاعة المشركين في حكم تشريعي واحد شرك بالله ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

« إذا حكم ولاة الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم » ، قال رسول الله ﷺ : « **ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم** » [(١)] ، وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر ما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه فإن الله يقول في كتابه : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج : ٤٠] ، فقد وعد الله بنصره من ينصره ، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم. فأول خطوة على طريق النصر تكون بالعودة إلى الله وتحكيم شرعه .

شبهة وبيان :

يقول بعض المغرضين والمارقين والنصاري : كيف تطبقون حكم الإسلام علينا ونحن لنا دين يختلف عن دينكم ؟ ويظهر العلمانيون والديمقراطيون الشفقة الكاذبة على النصارى ، وأن تطبيق الإسلام عليهم أمر يتنافى مع العدل والإنسانية والحرية وهذا الأمر يحتاج .

ولا شك إلى توضيح وبيان نذكره على سبيل الإجمال في عدة نقاط :

[١] يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، ودين الحق واحد هو الذي بعث به الأنبياء والمرسلون من لدن آدم حتى خاتمهم وسيد ولد آدم ﷺ ، وإنما تعددت الشرائع ، وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

[٢] دساتير الدول كما هو معروف تحكم جميع الرعايا ويحكم بها القضاة ، وغير مسموح لأحد بالخروج على نظام الدولة التي يتواجد فيها حتى وإن كان نظاماً وضعياً كفرياً ، ويعلقون المشانق لمن خرج على دستور البلاد ، فكيف بمن

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وغيره ، وحسن الألباني – رحمه الله – رواية الحاكم .

خرج على حكم أحكم الحاكمين ورب العالمين ؟! .

[٣] رعايا البلاد لا يقتصرون على النصارى فقط ، وهم باختيارهم المقام في دار الإسلام قد حققوا السبب الذي جعلهم خضاعين للأحكام الإسلامية ، ولذلك أقام النبي ﷺ الحد على اليهودين الزانيين .

[٤] في عقود الذمة كهذا الذي أبرمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من الحكام المسلمين ، يقر الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب أو غيرهم من الكفار على كفرهم بشرطين :

﴿ أ ﴾ أن يتلزموا أحكام الإسلام في الجملة .

﴿ ب ﴾ أن يبذلوا الجزية .

ويسري هذا العقد على الشخص الذي عقده ما دام حياً وعلى ذريته من بعده ، يقول تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)** ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وروى البخاري : « أن المغيرة قال يوم نهاوند : أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية » ، وهذا العقد دائم غير محدود بوقت ما دام لم يوجد ما ينقضه .

[٥] إذا تم عقد الذمة ترتب عليه حرمة قتالهم والحفاظ على أموالهم وصيانة أعراضهم والكف عن أذاهم لما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : « إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا » .

والقاعدة العامة التي رآها الفقهاء : « أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وليس للمسلم أن ينكر عليه عدم قيامه بشعائر الإسلام كالصلاة والصيام والحج لأنها عبادات تخالف معتقده، وما يتصل بشعائرهم الدينية من عقائد وعبادات، وما يتصل بالأسرة من زواج وطلاق فالقاعدة الفقهية المقررة فيها « اتركوهم وما يدينون » .

[٦] يشترط مع الجزية التزام أحكام الإسلام كما ذكرنا فإن امتنع من لزوم الأحكام أو قاتل المسلمين أو زنى بمسلمة أو أصابها باسم نكاح أو فتن مسلماً عن دينه أو قطع الطريق على مسلم أو آوى مشركاً أو دل المشركين على عورات المسلمين أو قتل مسلماً أو ذكر الله تعالى أو رسوله أو دينه بما لا يجوز فقد انتقضت ذمته في ذلك جميعه ، وقد أخذ عليهم في عقود الذمة أن لا يدقون ناقوساً ولا يظهرون صليباً ولا يبعون كتاباً من كتبهم في أسواق المسلمين إلى غير ذلك من المعاني المذكورة في كتب الفقه والسير .

[٧] ليس للمسلم أن ينكر على الكتابي شربه الخمر وأكل لحم الخنزير لأن ذلك حلال عنده وليس فيه مساس بحق غيره أما إظهار الخمر والخنزير له فالراجح الإنكار عليه في ذلك .

[٨] أحكام الإسلام تجري على أهل الذمة فيما يتعلق بالمعاملات المالية فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لا يتفق مع الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة ، وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا فعلوا ما يوجب ذلك ويقتص منهم .

[٩] هناك فرق بين إعتقاد الذمي هل الفعل وإتيانه إياه في دار الإسلام بما ينطوي عليه من مساس بحق الدولة المسلمة أو بحقوق أفرادها ، ولذلك يجب الإنكار على الذمي ولو كان من وقع عليه فعل المنكر على دين الذمي، وذلك كما في حالة التعامل بالربا، ولأن أثر الفعل لا يقتصر عليهما بل يتعدى إلى غيرها، أما القتل والضرب والسرقة والمطل والرشوة والغش والقذف والغضب والإتلاف فكل ذلك يعد منكراً في حق غير المسلم مثلما هو منكر في حق المسلم يجب إنكاره.

[١٠] إن تحاكموا إلينا مع المسلمين وجب الحكم بينهم لأنه لا يجوز أن يحكم على المسلمين حاكم الكفار ، وإن تحاكموا إلينا بعضهم مع بعض ففيه قولان ، أحدهما يلزمنا الحكم بينهم كالمعاهدين ، والثاني التخيير بين القبول والرفض يقول تعالى :﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ

فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ .
[المائدة : ٤٢] .

[١١] يجوز لنا أن نبيع ونشتري لأهل الكتاب ونهاديهم ونتزوج من نسائهم ونرحمهم بالرحمة العامة ونقبل ضيافتهم ونجادلهم بالتي هي أحسن ونعودهم في مرضهم ، وفي ذات الوقت لا محبة بيننا وبينهم ولا أخوة ولا صداقة ولا مودة ولا موالاة .

وعلى هذا المعني وعلى ذلك دلت نصوص الكتاب والسُّنة فلا داعي لأن نصادم بعض النصوص ببعضها الآخر وكلها خرجت من مشكاة واحدة ، فلا يظن بنصوص الوحي وجود تعارض ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أهدى له النَّبي ﷺ حلة سيراء أهداها هو لأخ مشرك له بمكة ، وبوب على ذلك الإمام البخاري « باب إهداء الوالد المشرك » ،« باب إهداء الأخ المشرك » وعمر هو الذي قال للنبي ﷺ يوم بدر: « أرى أن تدفع لي فلاناً ، وتدفع عقيلاً لعليّ ، وتدفع فلاناً لحمزة ، حتى نقتلهم ، وحتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين » .

ولما ذهب عبد الله بن رواحة لتخريص نخل يهود خيبر فأرادوا رشوته قال لهم : « يا أعداء الله تعلمونني السحت ، فوالله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ ولأنتم أبغض الناس إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني حبي إياه – يقصد النَّبي ﷺ –وبغضي إياكم على ألا أعدل بينكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض » .

يقول تعالى : ﴿ ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارىٰ حتىٰ تتبع ملتهم ﴾ [البقرة: ١٢٠] ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[المائدة : ٥١] ، ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ [الممتحنة : ٨]، ولذلك قال الإمام الخطابي : « الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه » ويقول سبحانه : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ [هود : ١١٣] .

ولا يصح لمسلم أن يظهر شعائر الدين الباطل ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾ [الفرقان : ٧٢] ، وقال عمر وغيره : هي أعياد المشركين . لأنها من أعظم شعائر دينهم الباطل بل لا يبيعهم ما يستعينون به على ذلك ، ولا يتقبل هداياهم المتعلقة بأعيادهم الكفرية ، ولا يدخل عليهم كنائسهم في أعيادهم ، لأن السخطة تتنزل عليهم وفي ذات الوقت ثبت « أن النَّبي ﷺ دعي لطعام يهود المدينة ، ومات ﷺ ودرعه مرهونة من يهودي ، وعاد الغلام اليهودي وقال له ﷺ : « **أسلم** » ،فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، وفاضت روح الغلام ، فقال له النَّبي ﷺ : « **صلوا على صاحبكم** » .

وإذا كان المسلم يجوز له أن يتزوج من الكتابية وهذا مظنة أن تسلم بإذن الله إذا تعرفت على دين الله ، فيجب عليه أن يقوم على تربية أولاده تربية إسلامية ويتعاهدهم في ذلك ، وليس له أن يحب ما عليه زوجته من دين باطل ، وليس للكتابي أن يتزوج مسلمة وإن فعل انتقض عقده بذلك ﴿ **وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** ﴾[البقرة : ٢٢١] ، ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤١] ، والزواج فيه قوامة والإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، والأولاد يتبعون المسلم منهما سواء أكان الأب أو الأم في حالة إذا أسلمت الأم تحت رجل كتابي أو أسلم الكتابي وبقيت الأم على دينها .

وتفصيلات الأحكام في ذلك كثيرة وهي ولله الحمد موضحة ومبينة في كتب أهل العلم فليرجع إليها ، وإنما اقتصرنا منها على ما تدعو إليه الحاجة في نظرنا وخصوصاً بعد اختلاط المفاهيم وغربة الحال وتبدل الأوضاع وشيوع الفلسفات والمناهج والترويج لها في بلدان المسلمين على أيدي أعدائهم ، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً ، وانتهز فرصة ضعف الأمة من لا خلاق له فتسلط عليها والله غالب على أمره ، ومتم نوره ولو كره الكافرون ، وهذه الصحوة الإيمانية التي نراها والتي هي محض فضل وتوفيق من الله ماهي إلا مقدمة بين يدي حدث ضخم يكاد يلوح في الأفق « وإن غداً لناظره قريب » .

الديمقراطية والولايات

لا غضاضة ولا حـرج في النظام الديمقراطي من أن تتولى المرأة إمرة الرجل ، أو أن يتولى الكافر إمرة ولاية المسلمين فقط يكفي في ذلك الإنتخاب أو الإرادة الشعبية الحرة في انتخاب ممثلي الشعب كما يقولون ، فالرضى فقط يكفي عمن ينوب عن الإنسان رجلاً كان أو إمرأة ، مسلماً أو غير مسلم ، ومخالفة الديمقراطية في ذلك للإسلام مخالفة واضحة وصريحة ، وفساد ما ذهبت إليه الديمقراطية وبطلانها واضح شرعاً وعقلاً ، والشر تزداد حدته إذا تولى الكافر أو المرأة ولاية الخلافة أو الحكم على المسلمين ، وقد تكلم علماء الأمة قديماً وحديثاً على شروط الولاية وكيفية انعقاد الولاية وقواعد العزل فلم يترك الأمر همـلاً ، ونحن نبين بتوفيق الله بعض المعاني المتعلقة بالإمامة العظمى والولاية الخاصة وبشيء من الإختصار والإجمال وحتى نستوضح مدى انحراف الديمقراطية وخطأ المناداة بها .

الخلافة أو الإمامة العظمى :

يقول تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ .

[البقرة : ٣٠].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيرها :

هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة وبين الأئمة إلا ماروى عن الأصم حيث كان عن الشرعية أصم إلى أن قال : ودليلنا قول الله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ [النور : ٥٥] .

وقد أجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد وفاة النّبي ﷺ فدل على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الله في أرضه، فالخلافة موضوعة لإقامة الدين بها وهذا موضع إتفاق ومحل إجماع من يعتد بقوله ، فهل النظام الديمقراطي يهدف لذلك ؟ .

إنعقاد الإمامة يتم بأحد الأمور الآتية :

[١] ما لو نص ﷺ على أن فلاناً هو الإمام فإنها تنعقد به بذلك ، وقال بعض العلماء : إن إمامة أبي بكر رضي الله عنه من هذا القبيل لأن تقديم النّبي ﷺ له في إمامة الصلاة وهي أهم شئ فيه الإشارة إلى التقديم للإمامة الكبرى وهو ظاهر .

[٢] إتفاق أهل الحل والعقد على بيعته وقال بعض العلماء : إن إمامة أبي بكر منه لإجماع أهل الحل والعقد على بيعته ولا عبرة بعدم رضى بعضهم كما وقع من سعد بن عبادة رضي الله عنه من عدم قبوله بيعة أبي بكر رضي الله عنه .

[٣] أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ، ومن هذا القبيل جعل عمر رضي الله عنه الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض ، وهذا ما يطلق عليه اسم ولاية العهد ، يقول أبو يعلى الحنبلي في كتاب الأحكام السلطانية : « يجوز للإمام أن يعهد إلى إمام بعده .... ولأن عهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة » أ . هـ .

فالإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد وإنما تنعقد بعهد المسلمين وذلك بعد موت الأول وباختيار أهل الوقت ، وقد رجح هذه الطريقة بعض العلماء على طريقة انتخاب أهل الحل والعقد للخليفة دون عهد منه إلى أحد لما في العهد من حسم لمادة الخلاف والنزاع ، وفي ذلك يقول ابن حزم : « وهذا – أي العهد – هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام وأهله ورفع ما يتخوف من الإختلاف والشغب مما

يتوقع في غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وحدوث الأطماع » الملل والنحل لابن حزم جـ « ٤ » ص ١٦٩ .

[٤] أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم ، ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله بن الزبير وقتله إياه في مكه على يد الحجاج بن يوسف ، فاستتب الأمر له كما قال ابن قدامة في المغني ، وكلام العلماء ونقلهم لهذه الصورة إنما هو حكاية لواقع قد يحدث وما قد يترتب عليه ، ومعلوم أن من شروط الخليفة أن يكون حراً وقد يتغلب عبد حقيقة بالقوة ، فإن طاعته تجب إخماداً للفتنة وصوناً للدماء مالم يأمر بمعصية » ذكره الشنقيطي في أضواء البيان جـ « ١ » ص ٥٦ .

شروط الخليفة :

« وسواء أطلقنا عليه وصف الحاكم أو الرئيس أو الإمام أو أمير المؤمنين » فلا بد من توافر شروط تكلم عنها العلماء ، ووردت في النصوص الشرعية :

[١] أن يكون قرشياً ، وحكى غير واحد عليه الإجماع ، وبوب الإمام البخاري « باب الأمراء من قريش » والنصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله ، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله سبحانه وتعالى وينفذ أوامره أولى منهم .

[٢] كونه ذكراً ، ولا خلاف في ذلك بين العلماء ، ويدل عليه ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي بكرة رضي الله عنه « أن النبي ﷺ لما بلغه أن فارساً ملكوا ابنة كسرى ، قال : « **لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة** » .

[٣] من شروط الإمام الأعظم كونه حراً فلا يجوز أن يكون عبداً ولا خلاف في هذا بين العلماء .

[٤] أن يكون بالغاً ، فلا تجوز إمامة صبي إجماعاً لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة .

[٥] أن يكون عاقلاً ، فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه وهذا لا نزاع فيه .

[٦] أن يكون عدلاً ، فلا تجوز إمامة فاسق حالة الإبتداء ، واستدل عليه بعض العلماء بقوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام لأن العدل لا يكون غير مسلم ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** (١٤١) ﴾ [النساء : ١٤١] ، والولاية من أعظم السبيل ولقوله تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] ، أي منكم أيها المسلمون .

[٧] أن يكون ممن يصح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين مجتهداً يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث .

[٨] أن يكون سليم الأعضاء غير زمن ولا أعمى ونحو ذلك ، ويدل لهذين الشرطين الأخيرين قوله تعالى في طالوت : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

[٩] أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية بيضة المسلمين والإنتقام من الظلم .

[١٠] أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأعضاء ، ويدل لذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم على أن الإمام لابد أن يكون كذلك قاله القرطبي .

أهل الحل والعقد

إذا كان انتخاب الخليفة من حق الأمة ، ولها أن تباشر هذا الحق عن طريق أهل الحل والعقد ، فمن هم وما علاقتهم بالأمة ، وكيف ينالون هذه المنزلة ؟.

يذكر الفقهاء أوصافاً عامة لأهل الحل والعقد منها :

[١] العدالة الجامعة بشروطها ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام كما ذكرنا.

[٢] العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها.

[٣] الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للأمة أصلح وبتدبير المصالح أقوم .

ولو اختار الصحابة أهل الحل والعقد وترك لهم الأمر لما تعدوا الستة الذين ترك عمر رضي الله عنه الأمر شورى بينهم ، فقد كانوا هم المتبوعين في الأمة الحائزين على ثقتها ورضاها لما عرفوا به من التقوى ، والعدالة ، والإخلاص ، والإستقامة وحسن الرأي ، ومعرفة الأمور ، والحرص على مصالح الأمة .

وقد عرف الشيخ / محمد رشيد رضا - رحمه الله - « صاحب تفسير المنار » أولياء لأمر بأنهم :

جماعة أهل الحل والعقد وهم : الأمراء والحكماء والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، وهؤلاء ينتخبون الحاكم نيابة عن الأمة ويعتبر اختيارهم ملزماً لعموم المسلمين .

ولكن هل يكفي التوكيل الضمني الذي حدث في عصر الخلفاء الراشدين لاختيار أهل الحل والعقد في عصرنا الحاضر ؟ ، والإجابة على ذلك بأن الصورة التي حدثت لا يستبعد تكررها إذا تشابهت الظروف والملابسات مع الأوضاع التي عاشها الصحابة رضوان الله عليهم والتي تباعد عنها حاضرنا تباعداً كبيراً فيما يتعلق بالعلم النافع والعمل الصالح وبالتالي فلا مانع من سن النظم الإدارية اللازمة لإجراء انتخاب

وضمان سلامته من التزييف والتضليل ، وأن نضع في هذا النظم الشروط الواجب توافرها فيمن تنتخبهم الأمة لتكوين جماعة أهل الحل والعقد في ضوء ما ذكره الفقهاء من شروط فيهم ولإثبات نيابتهم بالتوكيل الصريح ، ولأن التوكيل الضمني يتعذر حصوله في الوقت الحاضر .

تنبيهات لابد منها

[١] الولايات الخاصة يُختار لها الأكفأ والأولى فالأولى بحسب الولاية ويشترط فيمن نختاره القوة والأمانة لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ .

[القصص : ٢٦] .

فولاية الجهاد نقدم لها معنى القوة على معنى الأمانة ، وفي ولاية المال تقدم معنى الأمانة على معنى القوة ، والولاية من أعظم السبيل ، فلا يصح فيها تولية الكافر ولأنه لا يؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يؤتمن على مصالح الأمة ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

ولما علم عمر أن أبا موسى الأشعري استخدم كاتباً نصرانياً قال : « لا تقربوهم وقد أبعدهم الله ولا تعزوهم وقد أذلهم الله ولا تكرموهم وقد أهانهم الله » ، ولذلك لا يصح للكافر أن يتزوج من مسلمة ، وأن يتولى إمرة المسلمين لأن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤١] .

[٢] تمنع المرأة من تولى المناصب العليا كأن تكون وزيرة أو قاضية وخاصة رئاسة الدولة ، لأن في ذلك ظلم للمرأة وافتيات على المصلحة .

واتهام من يمنعون ولاية المرأة المناصب بأنهم يكرهون المرأة ليس أولى من العكس ، يعني إتهام من يقحمون المرأة في هذه الميادين بأنهم هم أعداؤها في الحقيقة ، وهم الذين يزدرونها ويحتقرونها بل البيوت والأسر تفسد إذا كانت القوامة فيها للمرأة ، يقول تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ**

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

وقد حددت الشريعة مكان المرأة ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، ويقول النَّبي ﷺ : [**والمرأة راعية على بيت زوجها وولده**] [1] ، فلا تخرج من بيتها إلا لحاجة أذن الشرع فيها ، ومع التأدب بالآداب الشرعية وبإذن الزوج أو الولي .

وفي صحيح البخاري : [**لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**] وهو دليل على تحريم تولي المرأة للولاية العظمى وغيرها من الولايات الكبيرة لأن الحديث عام ولفظة قوم تشمل كل قوم ولفظة امرأة تشمل كل امرأة فكل قوم أو أي قوم ولوا أمرهم امرأة فإنهم لا يفلحون ، وهذا هو حكم رسول الله ﷺ الذي يخالفه الديمقراطيون مع سائر مخالفاتهم لدين الإسلام ، وقد أجمع أولوا الأمر من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء على منع المرأة من تولي منصب رئاسة الدولة ولم يحدث في تاريخ الإسلام « بصورة صريحة » ولا مرة واحدة أن تولت امرأة الحكومة .

هل يجوز للمرأة الدخول فى الإنتخابات ؟ :

في كتاب « مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية » ص ٣٥٦ وردت فتوى لفضيلة الشيخ / حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق وذلك في ٤ مايو سنة ١٩٥٢ م ، **والفتوي بعنوان خوض معركة الإنتخابات للمرأة غير جائز ، واليكم نص ما جاء في هذه المبادئ :**

[١] رفع الإسلام من شأن المرأة ، فكون شخصيتها ، وقرر حريتها ، وفرض عليها طلب العلم والمعرفة .

[٢] لا يجوز للمرأة خوض غمار الانتخابات حماية لأنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان والبعد عن مظاهر الريب وبواعث الإفتتان .

---

(١) متفق عليه .

سئل : وردت إلينا أسئلة عديدة من حكم انتخابات المرأة لعضوية مجلس النواب أو الشيوخ في الشريعة الإسلامية إذ كانت ضجة من جانب بعض النساء للمطالبة بتعديل قانون الانتخابات الذي حرمت نصوصه إنتخابهن بحيث يكون لهن الحق في الإنتخابات .

أجاب : بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، عنى الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل في بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم ، وفي حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين ، فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ، ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيؤها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة ، وكانت دعامة قوية في بناء الأسرة والمجتمع .

وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة ، وحمى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان ، وباعد بينهما وبين أخطار الريب وبواعث الإفتتان ، فحرم على الرجل الأجنبي الخلوة بها والنظرة العارمة إليها ، وحرم عليها أن تبدي زينتها إلا ما ظهر منها ، وأن تخالط الرجال في مجامعهم وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم ، وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيدين ، وأعفاها في الحج من التجرد للإحرام ، ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجل للصلاة والإمامة العامة للمسلمين ، وولاية القضاء بين الناس ، وأثم من يوليها بل حكم ببطلان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ، ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها كل ذلك لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة عنها والإفتتان بها حذراً من أن يحيق بالمجتمع ما يقضي إلى انحلاله وانهيار بنائه ، والله أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان ودوافع وبما للنفوس من ميول ونوازع ، والناس يعلموه والحوادث تصدق .

ولقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه ﷺ بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراماً ، وأن النّبي ﷺ لم تمس يده « وهو المعصوم » أيدي النساء اللاتي بايعنه ، وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية في عهده ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، ولا في عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ، ولا حضرت مجالس تشاوره ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار .

ذلك شأن المرأة في الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية ، فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم في الإنتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر إلى المؤتمرات والجذب والدفع وما إلى ذلك مما هو أكثر إثماً وأعظم خطراً من ولاية القضاء بين خصمين ، وقد حرمت عليها واتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة في يد من لا يرحم ، إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام بل ولا الأكثرية الساحقة من النساء اللهم إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبها إلى مخالفة الضمير والدين ومجارة الأهواء ولا حسبان في ميزان الحق لهؤلاء على المسلمين ، وعليهم أن يتعرفوا حكم الإسلام فيما يعتزمون الإقدام عليه من عمل فهو مقطع الحق وفصل الخطاب .

ولا خفاء في أن دخول المرأة في معمعة الإنتخابات والنيابة غير جائز لما بيناه ، وإننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد وصدق لرفعة شأن المرأة من النواحي الدينية والأخلاقية ، والإجتماعية ، والعلمية ، والصحية ، في حدود طبيعة الأنوثة ، والتعاليم الإسلامية قبل أن يحرص على خوض غمار الإنتخابات والنيابة ، وأن نسمع منهم صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك النساء عامة بأهداب الدين والفضيلة في الأزياء والمظاهر والإجتماعات النسائية ، وغير ذلك مما هو كمال وجمال للمرأة المهذبة الفاضلة ، ولهن منا جميعاً إذا فعلن ذلك خالص الشكر وعظيم الإجلال ، ذلك خير لهن ، والله يوفقهن لما فيه الخير والصلاح . أ . هـ .

كيف استدرجوا المرأة لدخول الإنتخابات ؟ :

كانت الذراع الأولى التي التف بها اليهود حول أوربا هي إنشاء مجتمع لا يقوم على الدين ، والذراع الأخرى هي أفكار ونظريات علمية مزمنة تهاجم الدين والأخلاق ، والذراع الأولى وجدت مع الثورة الصناعية ، والرأسمالية في ذلك الوقت ولدت في أحضان اليهودية ، وهم يسيرونها إلى هذه اللحظة ، فقد دخل اليهود كممولين للحركة الصناعية عن طريق الإقراض بالفوائد الربوية ، فلما وضعت الرأسمالية في أيديهم انتهزوا هذه الفرصة فأقاموا المجتمع الأوربي الصناعي على غير أساس من الدين والأخلاق .

وكانت فرصتهم الثانية هي : السيطرة ومن أبشع ما استخدموه قضية المرأة ، فقد حدث يومها أن هيأ الممولون الفرص لعمل المرأة لإخراجها من بيتها ثم جعلوا لها قضية ، وكانت هذه القضية في مبدأ الأمر أنهم جعلوها تعمل نفس الساعات التي يعملها الرجل ، ولكن بنصف الأجر وبدأت قضية مساواة المرأة بالرجل في الأجر ، وحدثت المطالبة ولم تحدث الإستجابة ، فقيل لها : اسلكي السبيل الذي يؤدي بك إلى غايتك ، تظاهره واضربي ، فتظاهرت المرأة وأضربت وكانت هذه خطوة على الطريق ، وفي هذه المرة أيضاً لم يستمع لها أحد ، ولما كان الشيطان فقيه في الشر وكذلك أتباعه يقودون الإنسان إلى حتفه وهو يظن أنه يحسن الصنع ، وينتقلون به خطوة خطوة ويعملون ليل نهار دون كلل أو ملل فاستدرجوا المرأة وقالوا لها : لا بد وأن تحولي قضيتك إلى قضية سياسية ، ولا بد أن تحصلي على حق الإنتخاب ثم حق دخول البرلمان ، فتحولت القضية من مطالبة بالمساواة مع الرجل في الأجر إلى مطالبة بالمساواة مع الرجل في الحقوق السياسية ، ثم انتقلوا بها إلى المطالبة بالمساواة مع الرجل في التعليم وجعلت مناهج الأولاد والبنات واحدة ، وتخرجت الفتاة من الدراسة الثانوية فقيل : لما يفرق بين الجنسين في دخول الجامعة ؟! لتنتقل القضية بعد ذلك إلى مطالبة بالمساواة مع الولد في التعليم الجامعي ، ودخلت الجامعة ، لتبدأ قضية

الإختلاط وكان هذا هو الهدف الذي يراد من هذه الدورة كلها ، فحدث الإختلاط في الجامعة ، وفي الشارع ، وبالتبعية تفسخت الأخلاق وأصبحت المرأة رئيسة ووزيرة وعضوة بالبرلمان ... .

وفي جو الإختلاط رفعت حواجز الأخلاق كلها وأصبحت الفاحشة هي الأصل في ذلك المجتمع الغربي ، وأما ذراع الكماشة فكانت تلك النظريات التي نادى بها أساطين الشر من اليهود ، ماركس ، فرويد ، ودور كايم ، وفريز ، ومن عجيب الأمر أن هذه الأمراض بدلاً من أن تستأصل أو تعالج في موطنها الذي ظهرت فيها استوردها البعض لتطبيقها في بلاد الإسلام ، فدرست النظريات على أنها حقائق ، وتنادى فريق أن لابد وأن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين ، وكان هذا هو الطريق إلى الهاوية ، وقد تكررت المأساة وانتقل العفن والخراب من هناك إلى هنا .

عودة إلى التنبيهات :

[٣] في النظام الديمقراطي يتولى الفساق والعصاة والكفار والنساء والمحاربين لدين الله والمعادين له الولايات العامة والخاصة ، ويتسلطون بذلك على رقاب المسلمين عن طريق انتخابات مزيفة وحرة كما يقولون ، ولكن أين الضوابط الشرعية ؟ وما هي أهلية من يختار ؟ وما هي موازينه ؟ وهل علم هؤلاء شروط من سيختارونه ؟ ولا يكفي أن يقال لعوام الناس اختاروا الأمثل أو الأصلح أو من يقدم خدمات أكثر ، فهذه عبارات كثير من الناس لا يفهم لها معنى نتيجة غربة الحال وغيبة المعاني الشرعية .

[٤] أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى ، وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع**

ولا طاعة] (١) .

[٥] يصح للحاكم أن يعزل نفسه ، لموجب يقتضي ذلك كإخماد فتنة كانت ستشتعل لو لم يعزل نفسه أو لعلمه عن نفسه العجز عن القيام بأعباء الخلافة ، فلا نزاع في جواز عزله نفسه . ولذا أجمع جميع المسلمين على الثناء على سبط رسول الله ﷺ الحسن ابن عليّ رضي الله عنهما بعزله نفسه وتسليمه الأمر إلى معاوية بعد أن بايعة أهل العراق حقناً لدماء المسلمين وأثنى عليه بذلك قبل وقوعه جده رسول الله ﷺ بقوله : [**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**] (٢) .

[٦] ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز الخروج على الحاكم والقيام عليه إلا إذا ارتكب كفراً بواحاً عليه من الله برهان ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : [**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**] (٣) .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تدل على منع القيام عليه ولو كان مرتكباً لما لا يجوز إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام بالبرهان الشرعي من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ أنه كفر بواح أي ظاهر بأن لا لبس فيه ،وقال القاضي عياض : « أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه كفر وتغيير الشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر » ، وقال الحافظ ابن حجر : « إنه – أي الإمام – ينعزل بالكفر إجماعاً فيجب على كل مسلم القيام في

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود .
(٢) أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الشيخان في صحيحيهما .

ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض » .

وقد ذكر صاحب كتاب « الإمامة العظمى » بالإضافة للكفر والردة بعد الإسلام من أسباب العزل :

- ترك الصلاة والدعوة إليها للأحاديث الواردة في ذلك والتي نهت عن منابذة الأئمة الجورة ونقض بيعتهم وعن مقاتلتهم بشرط إقامتهم الصلاة ، ومن بين هذه الأحاديث ما رواه مسلم وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ قال : [**إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع**] ، قالوا : **أفلا نقاتلهم ؟ قال** : [**لا ما صلوا**] ، وهذا الحديث فيه التصريح بمقاتلة الأمراء الذين لا يصلون ومعلوم أن المقاتلة هي آخر وسيلة من وسائل العزل .
- وترك الحكم بما أنزل الله ، فمن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله**] (١) . وفي صور الحكم بغير ما أنزل الله المكفرة ، فالمسألة تعود إلى هذه الصورة من أسباب العزل وهي الكفر والردة .

وإذا كانت الأمة تملك حق عزل الخليفة عند وجود السبب الشرعي الداعي لذلك إلا أنه يجب أن يعرف جيداً بأن مجرد وجود السبب الشرعي للعزل لا يعني بالضرورة لزوم تنفيذ العزل وشرع الله مصلحة كله ، وحيثما كانت المصلحة الحقيقية المنضبطة فثم شرع الله ، والأمر يحتاج إلى نظر شرعي وواقعي سليم لابد من الرجوع فيه لعلماء الأمة المعتبرين وإزالة المنكر لا ينبغي أن يزال بمنكر أعظم ، وعزل الخليفة من النهي عن المنكر فيخضع لقواعد وآداب الإنكار .

---

(١) رواه البخاري .

[٧] يقول الله تعالى عن نبيه يوسف ﷺ قال : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)** ﴾ [يوسف : ٥٥] ، قال القرطبي : « قال بعض أهل العلم : في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء ،وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك ، وقال قوم : إن هذا كان ليوسف خاصة ، وهذا اليوم غير جائز ، والأول أولى إذا أمكن على الشرط الذي ذكرناه والله أعلم » ، وقال أيضاً : « إن يوسف ﷺ إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرضاً متعيناً عليه فإنه لم يكن هناك غيره وكذا الحكم اليوم ، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التي تستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف ﷺ ، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله ﷺ لعبد الرحمن « **لا تسأل الإمارة فإن من سألها** » فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أن يطلبها لنفسه ولأغراضه ، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك ، وهذا معنى قوله ﷺ : « **وكل إليها ومن أباها** » لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير في حقوقها فرفضها ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله : « **أُعين عليها** » [١] .

[٨] نظلم أنفسنا عندما نقيس الإسلام أو نقارنه بغيره من المناهج والفلسفات الوضعية الكفرية ، وشتان وفارق كبير بين النور والظلام وبين الإيمان والكفر فالحق أبلج والباطل ظلام ، وعلى الحق نور ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا**

---

(١) حديث صحيح .

يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] ، وفارق بين من كانوا يرون الإمارة والحكم تكليفاً ومغرماً مع كفائتهم ، وبين من يراه مغنماً وهو عار من شروط الولاية والحكم ، ولذلك لا عجب بعد ذلك أن نرى الضنك والشقاء في كل قطاع من قطاعات الحياة عندما يتولى الكفار والنساء إمرة الخلق ، وكيف يفلحون .

[٩] الحاكم أو الخليفة يحكم مدة حياته طالما كان قائماً بشئون الحكم محسناً في هذا التطبيق ، وقد اخترناه وفق هذا الضوابط والشروط التي سردناها ، وليس من أسباب العزل أن يمكث مدة الخمس سنوات فقط كما هو الحال في النظام الديمقراطي ثم يعزل بعدها بالحتم واللزوم والنبي ﷺ كان هو حاكم الأمة طيلة حياته ثم جرى العمل على ذلك في عهد الخلفاء من بعده ، ولا يصح أن تصبح الأمة محلاً للتجريب كل خمس سنوات من أناس لا كفاءة عندهم ولا حظ لديهم من شروط الإمارة والحكم .

الديمقراطية والديكتاتورية

ويقصدون بالديكتاتورية حكم الفرد وصور الطغيان التي تنجم عندما يتسلط على البلاد والعباد ويستقل بتصريف الأمور ، ونحن نرفض هذه التسميات الوافدة ولا نرضى بالإسلام بديلاً ولا عنه تحويلاً وأعداء الإسلام بعد أن زيّفوا هذه الكلمات بمضمونها ومعناها وروجوا لها في أوساط المسلمين استطاعوا التلاعب بجمهرة كبير من الناس ، فمن رفض الديمقراطية قالوا له : أنت ديكتاتوري ، ومن رفض الإشتراكية قالوا له : إذاً أنت رأسمالي ، وكأنه لا مجال للحق ولا للحقيقة وكأنهم أسقطوا الإسلام من حساباتهم ، أو أرادوا أن يسقطوه ويسكتوه حتى ينسى الناس إسلامهم ودينهم ثم يخجلون من التلفظ بإسمه أو التلبس بشعائره .

وكلمة الديكتاتورية كثيراً ما تذكر في مقابلة كلمة الديمقراطية وكأنهما طرفي نقيض ، أحياناً نسمع بعض الديمقراطيين العلمانيين يقولون إن نظام الحكم في الإسلام نظام ديكتاتوري .

وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه « شبهات حول الإسلام ص ١٦٤ :

« ويقولون إن نظام الحكم في الإسلام دكتاتوري بطبعه ، لأن الدولة فيه تملك سلطة واسعة ويزيد الأمر سوءاً أنها تملكها باسم الدين شئ مقدس له على نفوس الناس سلطان ، فما أسهل ما يغرى هذا السلطان بالدكتاتورية وما أسهل ما تستنيم له الدهماء ، وبهذا تختنق حرية الرأي ويصبح الخارج على الحاكم عرضة للإتهام بالخروج على الدين ، فمن أين جاءوا بهذا القول الغريب على الدين ؟ أمن قول القرآن ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ، وقوله : ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء : ٥٨] ، أم من قول أبي بكر رضي الله عنه : « فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ؟ » أم من قول عمر رضي الله عنه : « فإن وجدتم فيّ

اعوجاجاً فقوموه ، فيقول له رجل من عامة المسلمين ، والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً لقومناه بحد السيف » .

نعم وجد الطغيان باسم الدين ، وما تزال أمثلة من هذا الطغيان تقوم في بعض البلاد ، ولكن من ذا الذي يقول : إن الدين وحده هو ستار الطغيان في الأرض ! وهتلر هل كان يطغى باسم الدين ؟ وستالين ، لقد اعترفت الصحافة الروسية ذاتها بدكتاتورية ستالين بعد موته ، وقالت : إنه كان يحكم روسيا حكماً بوليسياً فظاً لا يجوز أن يكرر ، أو فرانكو ، ومالان في جنوب أفريقيا ! ، وشان كاي شك في الصين الوطنية ! وماوتسي تونغ في الصين الشيوعية ! كل هؤلاء يطغون باسم الدين .

لقد رأى هذا القرن « المتحرر » من سلطان الدين أبشع ديكتاتوريات التاريخ بعنوانات أخرى لامعة لا تقل قداسة عن قداسة الدين في النفوس ، وما يدافع أحد عن الدكتاتورية وما يرضاها إنسان حر الفكر والضمير ولكن استقامة الطبع والفكر تقتضي الإقرار بالحق الخاص دون ميل مع الهوى والشهوات .

والحق أن كل معنى جميل يمكن استغلاله والتستر وراءه لقضاء المآرب الشخصية وقد ارتكبت باسم الحرية أفظع الجرائم في الثورة الفرنسية فهل نلغي الحرية ؟ وباسم الدستور سجن الأبرياء وعذبوا وقتلوا فهل نلغي الدساتير ؟ وباسم الدين قام الطغيان حقاً في الأرض ، فهل يبرر ذلك أن نلغي الدين ؟ كان هذا يكون مطلباً معقولاً لو أن الدين في ذاته بتعاليمه ونظمه يؤدي إلى الظلم والطغيان - فهل يصدق ذلك على الإسلام الذي ضرب من أمثلة العدل المطلق - لا بين المسلمين وحدهم بل بين المسلمين وأعدائهم من المحاربين ، ما أقر به حتى أولئك الأعداء في أكثر من حادث وأكثر من فترة على مدار التاريخ ؟ إنما علاج الطغيان أن ننشئ شعباً مؤمناً بقدر الحرية التي ينادي بها الدين ويحرص عليها فيصد الحاكم عن الظلم ويقف به عند حده المرسوم ، ولست أحسب أن نظاماً يهدف إلى ذلك مثل النظام الذي جعل من واجب الشعب تقويم الظالم ، فيقول الرسول ﷺ : [**من رأى منكم منكراً**

فليغيره] [١] ، ويقول ﷺ : [**إن من أعظم الجهاد عن الله كلمة عدل عند إمام جائر**] [٢] .

إلى أن قال : « طريقكم إذن للتحرر أيها التقدميون ليس إلغاء الدين ، وإنما هو تعليم الناس هذه الروح الثائرة التي تنفر من الظلم وتقوم الظالمين وإنها في صميمها لروح هذا الدين » . أ . هـ .

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أبو داود والترمذي .

أين الشورى في النظام الديمقراطي؟

وهناك من يتسأل ويتسغرب كيف نطرح مثل هذا العنوان وهناك مستشارون ومجالس نيابية وأخرى للشورى ، والديمقراطية تختلف كثيراً عن الديكتاتورية في أخذها بمبدأ الشورى ، بل لرفعها لهذا الإسم إنخدع بعض المسلمين فنادى بالديمقراطية أو قال أحياناً : نحن نعيش على هامش الديمقراطية ؟ .

وقبل أن نفصل الإجابة نطرح عدة تسألات ، ماهي مجالات عمل الشورى؟ ، ما هي مؤهلات من نستشيره ؟ ، وإذا كنا نقول بوجوبها فهل هي ملزمة للحاكم ؟ .

ونقل إجمالاً إن الإسلام نظام كامل لم يلحقه نظام وضعي ولم يسبقه قانون بشري ، والواجب علينا جميعاً أن ندور مع إسلامنا حيث دار ونزن به الأقوال والأفعال وقول البعض عن الديمقراطية أنها تعني الشورى ، وأن الحاكم ينتخب ، ومناقشة رئيس الدولة ، فلا بأس فهي كلمات مقبولة ، ولكن أين المعنى الذي يندرج تحت هذه الكلمات ؟ وهل هذه المعاني توافق ما جاء في شرع الله ؟ وإن وافقت فهل يصح أن تسمى الأشياء بغير اسمها فنطلق عليها وصف الديمقراطية ، وبالتبعية نروج للمفهوم الحقيقي للديمقراطية في أوساط المسلمين ؟ ألا فلنتق الله ونعيش بالإسلام وللإسلام وننادي به وليس بشئ سواه .

ونسوق كلاماً مختصراً أو سريعاً عن الشورى في الإسلام وما علينا بعد ذلك إلا أن ننظر مدى تطبيق هذه المعاني في البلدان التي أخذت بالنظام الديمقراطي العلماني وتزعم ظلماً وعدواناً أنها أخذت بنظام الشورى .

حكمها :

فالشورى حق للأمة وواجب على الخليفة في قول أكثر الكتاب والمحدِّثين ، وهذا قول جميع من العلماء قديماً وحديثاً ، قالوا بوجوبها إستناداً لنصوص الكتاب والسنَّة يقول تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، ﴿ وَأَمْرُهُمْ

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ ، وكان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه ، فقد شاورهم يوم بدر وأُحد ، وشاور السعدين يوم الأحزاب حتى قال العلماء : لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » .

وجاء فى تفسير القرطبي : « قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب » .

فهل يحدث ذلك في نظام يفصل الدين عن الدولة ويحكم فيه بغير ما أنزل الله ؟ وذهب جمع من العلماء إلى استحبابها أو أنها سنّة مؤكدة منهم الشافعي وأحمد وابن تيمية .

من المعلوم بداهة والمتفق عليه بين العلماء أن الشورى لا تكون فيما نزل فيه وحي كما اتفقوا على تخصيص عموم قوله تعالى : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ ، ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ بما لم ينزل فيه وحي ... فهل الشورى في النظم الديمقراطية تلتفت إلى شرع أو دين ؟ وهل الأمر فيه وحي أم لا ؟ .

بل من عجيب الأمر أنهم في بعض البلدان العربية التي تركت الحكم بما أنز الله واستبدلته بنظم وضعية وقوانين طاغوتية أحياناً يجرون الإستفتاءات وسط الناس ويستشيرون نواب الشعب في تطبيق شرع الله ، وهذا لا يجوز ، فما أنزل رب العزة جل وعلا حكمه على خلقه لكي نتشاور فيه أنطبقه أم لا ؟ ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة: ٤٩] ، ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء : ٦٥] .

والحكم والخلافة إنما وضعت لتطبيق الدين وسياسة الدنيا به ، ولذلك خابوا وخسروا عندما تشاوروا هل يطبقون شرع الله أم لا ؟! وخابوا وخسروا ثانية عندما راغوا

روغان الثعالب فلم يطبقوا دين الله رغم مطالبة جماهير الشعب قاطبة مرات كثيرة بذلك حتى بحت الأصوات فأين ما ينادون به من ديمقراطية واحترام لرأي الأكثرية ؟ فلا هم استقاموا على شرع الله ولا هم أيضاً طبقوا مناهجهم الخربة نزولاً على رأي أسيادهم في الشرق والغرب الذين يحاربون الله بكل ما يملكون ويواصلون الليل والنهار في ذلك ، فانتقلوا بذلك من باطل إلى باطل ، ومن طغيان إلى طغيان .

وصحيح أن أكثر حالات الشورى التي تمت في عهده ﷺ كانت في أمور الحرب ولكنها لم تقتصر على ذلك ، بل اشتملت أيضاً كثيراً من الأمور الدنيوية الأخرى ذات الأهمية والخطر بالنسبة للدولة ومستقبلها ، والأمور الشرعية التي لم يرد فيها نص ، وكان الغرض من المشاورة في مثل هذه المسائل هو البحث عن النص واستطلاع الرأي ، لأنه ربما يكون في المسألة نص خفي على بعضهم دون بعض أو تكون مشاورتهم بقصد الوصول إلى فهم صحيح لنص معين اختلفت الأنظار في فهمه ، فإذا وضح النص وصح فلا مجال للتشاور بعد ذلك بل التسليم المطلق والإنقياد لأمر الله ورسوله ، ولذلك كان من سنَّة الصحابة رضوان الله عليهم سؤال النَّبي ﷺ عند إرادة طرح وجهات نظرهم في مسألة ، هل هو أمر منزل لا مجال فيه للرأي أم لا ؟ ، نحو قول الحباب بن المنذر : « هل هو منزل أنزلكه الله ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة » ونحو كلام السعدين يوم الخندق وغيرهما .

ولو قالوا : هل نطبق هذا الحد الثابت في الكتاب والسنَّة أم لا ؟ لكانت كفراً وردة عن دين الله وليست شورى ، فلتسمى الأشياء باسمها ، ولأن الإسلام هو الإستسلام والإذعان والانقياد لكتاب الله ولسنَّة رسول الله ﷺ ، وطالما أن الإسلام في طيات الكتب على الرفوف فالظلم والاستبداد سيبقى ، وإن أنشئ هناك مجالس صورية للشورى تنتظر الإشارة من رؤسائها فقط فتقر الذي يهوون كما هو واقع اليوم .

يقول صاحب كتاب « الإمامة العظمى » ص ٤٥٥ :

« أما دعاة الديمقراطية ومحاكاة الغرب في كل شئ ومحاولات التقريب بين

الإسلام والكفر المتمثل في وثنيات الغرب المعاصـرة فهذا هو طلب المستحيل حقاً لأنه لن يجتمع الحق مع الباطل أبـداً وإن التقيا في بعـض الجوانب وتلك سنَّة الله في خلقه ، فالإسلام شرع الله ومضمونه عبادة الله وحده ، لا شريك له ، أما الديمقراطية فشرع الكفار ومنهجهم ومضمونها عبادة البشر بعضهم لبعض ووسيلتها الأولى فصل الدين عن واقـع الحياة العملية وشتان بين الكفر والإيمان ، ولهؤلاء نقول : صححوا إيمانكم ومعرفتكم بالله وشرعه أولاً ثم بعد ذلك تعالوا لتعالجـوا مثل هذه القضايـا ، فـإن في شريعتنا ولله الحمد الغناء كل الغناء والإكتفاء كل الإكتفـاء ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّـهِ حُكْـمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠] . أ . هـ .

وسواء كانت الشورى واجبة أو مستحبة ، معلمة أو ملزمة فلا ينبغي أن ننسى شروط الحاكم الواجب توافرها فيه من العلم والعدل والورع والأمانة وأن يكون مجتهداً أو يصلح أن يولي قاضياً ، فمن كانت فيه هذه الشروط فمن المؤكد أنه لن يتأخر عنها ساعة خاصة في مهمات الأمور بل هو الذي سيطلب الإستشارة من تلقاء نفسه دون أن تفرض عليه لما لها من الفضل وسداد الرأي وأنها أقرب طريق للوصول إلى الحق ، وهو في ذلك يستن بسنة رسول الله ﷺ ويتـقـرب إلى الله بمشـاورة أهل العلم والدين ذوي الخبرة والإختصاص حتى وإن كانت الشورى مستحبة وإذا ظهـر له الحـق اتبعه لأنه يعلم أنه سيقـف بين يدي ربه ولأن يكون ذَنَباً في الحق خير من أن يكون رأساً في الباطل ولذلك فهو يعمل بالصواب الذي يظهر من خلال الشورى وما فيه مصلحة لا بهواه وشهوته .

وإذا كان الحاكم مجتهداً على هذا النحو وخالف رأيه الأكثرين وأصر على رأيه فعلى الرعية السمع والطاعة له في غير معصية لله جل وعلا ، فدين الله ليس دين أكثرية ولكن هو دين أعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه .

والذي يلفت الإنتباه حقاً في هذا المقام هو تشدد أكثر الكتاب المحدثين في هذا الموضوع مع أنه من المعروف عنهم في الغالب التساهل وتتبع الرخص وغض الطرف

عن كثير من المسائل الإلزامية الواجبة بالنصوص الصريحة ، ولعل السبب في ذلك هو ما ابتلوا به من حكام ظلمة لا علم سديد عندهم يدلهم على الخير والصواب ، ولا خوف من الله وورع يجعلهم يحرصون على إصابة الحق والإهتمام بشؤون رعاياهم ويجعلهم يرفعون الظلم والإستبداد والتعسف عمن تحت أيديهم .

وقد حاول بعض من انبهر بديمقراطيات الغرب الوثنية أن يثبت مثل هذا الموضوع حتى يقال : إن ما عندكم في الديمقراطية هو عندنا في الإسلام أو في ديمقراطية الإسلام كما يحلوا لبعضهم أن يسميها ، ومن ثم فلا فرق بيننا وبين الغرب !! وشتان بين الشورى في الإسلام والديمقراطية عند الغرب .

ولا شك أن البلايا الموجودة سببها غياب الإسلام عن التطبيق في الواقع فالعلاج الصحيح إذاً هو السعي إلى قيام الخلافة الإسلامية الصحيحة التي تمثل الإسلام تمثيلاً صادقاً ومن ثم فإنها سترفع مشكلة الإستبداد والظلم وستسد كل باب للإتهام والإفتراء على الإسلام وتلقم المعاند الحجر وتقنع طالب الحق بالواقع لا بالكلام ، وسواء تمت الشورى بعد ذلك في المسجد أو أنشأنا مكاناً خصيصاً لها أو اختارت الأمة مستشارين أو مجلساً للشورى فلا مانع من ذلك طالما أنه تم على النحو الذي يلائم ظروفها ويحقق مقصود الشورى ، ومعرفة رأي الأمة ووضع القوانين المفصلة والمنظمة للشورى أمر لا غبار عليه طالما سار الأمر وفق قواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها في نظام الحكم ، ولابد في ذلك من إشاعة المفاهيم الإسلامية والأخلاقية الإسلامية وتربية أفراد على معاني العقيدة ومخافة الله وتقواه في السر والعلن ، فبهذا يقف الإنسان عند الحدود الشرعية ويقوم بواجبه على الوجه المرضي سواء أكان هذا الواجب في انتخاب أعضاء مجلس الشورى أو في قيام هؤلاء بإبداء أرائهم في إبداء آحاد الناس أرائهم فيما يرونه من وجوه المصلحة .

أين الحرية الحقيقية في النظام الديمقراطي؟

الحرية كلمة براقة لها عذوبة في الأفواه ولذة في الأسماع يتغني بها الشعراء ، نادى بتحقيقها المصلحون ووضعت المخططات للحصول عليها والتخلص من أسر العبودية ، وبذلت الأمم الأموال والأرواح لتحقيقها وجعلت اليوم الذي حصلت فيه عليها عيداً ، ولا تجد أمة تستعذب طعم العبودية وتمقت الحرية ، ولكن دائرة العبودية التي يهرب منها البشر دائرة ضيقة يظنون أنهم إن تخلصوا منها فقد تحرروا وواقع الأمر ليس كذلك ، فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة وهم لا يشعرون ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقي في أسر العبودية ، ومن هنا كان لابد من ميزان وضابط نزن به الحرية الحقيقية من الخداع والزيف، وخصوصاً في وقت كثر فيه الخداع والتلبيس، ورفعت فيه الشعارات والهتافات والصيحات من أناس خفي عليهم الكلام فتكلموا .

ضابط الحرية الحقيقية :

التحرر الحقيقي يعني الخضوع لله وحده ، وأخذ منهجه دون سواه والتحاكم إلى شرعه دون بقية الشرائع ، والحرية في الإسلام تقرر في صورة العبودية وهي أن تعبد نفسك لله وحده في توجهات قلبك وعقائده ، وفي مسار فكرك في أقوالك وأفعالك ، وفي القوانين التي تهيمن على المجتمع ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] ، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، بل المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات والخلجات إنما تخضع لهذا الميزان ولهذا الضابط أيضاً ، ويتخوف المسلم على نفسه منها إن خالفت كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ وينزلها منزلة الوساوس التي لئن يخر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليه من أن يجدها أو يشعر بها .

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : « إن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : « **أو قد وجدتموه ؟** » ، قالوا : نعم . **قال** : « **ذلك صريح الإيمان** » وأورد الإمام مسلم في كتاب الإيمان باباً ترجم له النووي بعنوان « بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها » .

فلم يجرؤ أحد من الصحابة أن يصرح بأعيان تلك الخواطر التي اعترتهم حتى بلغت منهم شدة الحذر من ذلك مبلغاً يفسره لنا حديث ابن عباس عند أبي داود قال : « جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه « يعرض بالشيء » لأن يكون حممه إليه من أن يتكلم به » .

فهؤلاء الأفاضل الكرام رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يقيسون كل شيء بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ وهذا هو ميزانهم حتى فيما يتعلق بمشاعرهم التي قد لا ينفك عنها البشر إذا غفلوا عن ذكر ربهم ، فأين هذا من أصحاب الأدب الرخيص الذي يعبرون فيه عن كل ضياع ويروجون به للفسق والرذيلة ويطلقون عليه بعد ذلك اسم الأدب المكشوف أو الأدب الغريزي أو أدب الجنس ويطلقون فيه على هذه الوساوس الشيطانية اسم صدق الحس وعمق الشعور والوجدان .

والناس حين يرفضون عبودية الله فسيعبّدون أنفسهم لا محالة إلى مخلوقات مساوية لهم أو أقل منهم شأناً لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، ولذلك يقول النَّبي ﷺ : [**تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش**] [(١)] ، وهذا دعاء عليه وبيان أن الإنسان إما أن يكون عبداً لله وإما أن يكون عبداً لهذه المخلوقات ، والعبادة هي كمال الحب مع تمام الخضوع والذل ، فإذا اجتمع الأمران أطلق وصف العبادة ، وإلا فقد يطيع زوجته أو امرأة ويخالف أمر ربه فيطلق على الأمر وصف المعصية ، وقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ **يَا أَبَتِ**

---

(١) رواه البخاري .

لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾ [مريم : ٤٤ ، ٤٥] .

ومن عجيب الأمر في زمن امتلأ بالعجائب لما انحرف عن منهج العبودية لله سبحانه أن نجد من يطلق على المغنين والمغنيات والفاسقين والفاسقات اسم معبود الجماهير ومعبودة الجماهير ، ولذلك نحتاج إلى إيمان مبصر يغرس في القلوب ويحررها من العبودية للطواغيت والأصنام حجراً كانت أم بشراً ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ .

[آل عمران : ٦٤] .

صور ومظاهر الحرية الحقيقية :

« ذهب ربعي بن عامر رضي الله عنه إلى رستم قائد الفرس المشهور وكان الأخير قد طلب أن يعرف ماهو الإسلام ؟ فلما قدم عليه ربعي قال له : من بعثكم؟ ، فقال ربعي : ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

فهذا هو المسلم وهذه هي كلماته عندما يخلص العبودية لربه جل وعلا عبارات تنطق بالنور وتعبر عن صور ومظاهر الحرية الحقيقية لا الحرية الزائفة التي يتشدق بها الناس وقد وقعوا أسرى الفلسفات والمناهج الكفرية الخربة والعقائد الباطلة ، واستعبدهم البشر الذين نصبوا من أنفسهم أرباباً مع الله ، ووضعوا هالة من الأساطير حولهم وزعموا أن الدماء الزرقاء تجري في عروقهم كهذا الفرعون الذي قال للناس : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي ﴾ [الزخرف : ٥١] ، ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٢٩] ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) ﴾ .

[الزخرف : ٥٤] .

وأحياناً كانت تصرف العبادة من الناس لأناس صالحين لم يريدوا مثل هذا التقديس ولا أن ترفعوا فوق مرتبتهم كبشر ، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وكانو يردون هذا الغلوا على أصحابه ومثلهم الأعلى في ذلك رسول الله ﷺ فعندما أتاه البعض يمدحه قال : [**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله**] [1] ، وذلك لأن سبب شرك النصارى هو الغلو في المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، والأمر عند أهل الكتاب لم يقتصر على الغلو في عزير والمسيح وصرف العبادة لهما من دون الله ، وإنما حدث غلوا أيضاً في الأحبار والرهبان ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)** ﴾ [التوبة : ٣١] .

والإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله حده ، وهذا التحرر يجب أن يشمل أول ما يشمل قلب العبد ولأن القلب ملك مؤمر ، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه : [**الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا إن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**] [2] .

والقلب هو محل الإعتقاد وموضع الهم والإرادة والنية ، وصلاح الإعتقاد بمعرفة العبد بربه وصفاته والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، والإخلاص في ذلك لرب العزة جل وعلا ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر : ٢ ، ٣] ، وبتحقيق معنى شهادة لا إله إلا الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخاري .

محمد رسول الله ، يحقق العبد العبودية لله ربه ومولاه .

تحرير القلب يجب أن يتم بتحريره من الخوف من الآلهة المزيفة والطواغيت والظلمة ، والطواغيت يحاولون في كل عصر أن يغرسوا في قلوب العباد الرهبة من أوليائهم وأندادهم وقد قص علينا ربنا قول إبراهيم في محاجته لقومه قال : ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام : ٨١ ، ٨٢] ، ولما قال موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام : ﴿ **قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ** ﴾ [طه : ٤٥]، كانت الإجابة من رب العزة : ﴿ **قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)** ﴾ [طه : ٤٦] ، والشيطان يخوف عباد الله المخلصين ، أولياءه الضالين ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ، والتوكل على الله فلا يتحرر العبد حقيقة إلا إذا كان تعلقه وتوكله عليه ، والأنبياء والمرسلون هم أعظم الخلق توكلاً على الله عز وجل ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ** ﴾ [هود : ١٢٣] ، ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)** ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وهذه الكلمة على وجازتها جمعت معاني القرآن كله وقد اقترنت فيها العبادة بالتوكل .

وهذه الأمة إن تعد إلى ربها وتتوكل عليه سبحانه لهم نصره ويحل عليهم رضوانه كما حدث مع سلفهم الصالح يقول ربنا جل وعلا من غزوة الأحزاب : ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا (١١)** ﴾ [الأحزاب : ١٠ ، ١١] ، وكان الصحابة يومئذ على الرغم من هذا الهول وهذه الجحافل الشركية الجرارة التي أتت من كل حدب وصوب كلهم توكل على ربهم ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا**

زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب : ٢٢]، وكانت نتيجة المعرفة ما ذكره الله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥]، وكان هذا هو موقفهم دائماً من قبل ومن بعد ففي غزوة أُحد خرجوا إلى حمراء الأسد صبيحة يوم أُحد على ما بهم من جراح وآلام نزولاً على أمر الله وتوكلاً عليه ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وكان الحكام الصالحون يربون الجنود على المفاهيم الإسلامية ، فكانوا ينتقلون من نصر إلى نصر ، ومن عز إلى آخر ، كخالد بن الوليد الذي سمع جندياً يقول قبل معركة اليرموك : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فصاح فيه خالد : بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٤٩]، ولما أخذ قائد الفرس يتهدد المسلمين ما كان من القائد المسلم إلا أن قال : « جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

ثم ما الذي حدث بعد ذلك هل استقامت سيرة الأمة على ما استقام عليه أوائلها ؟ كلا وجهوا الوجوه إلى روسيا تارة ، وإلى أمريكا تارة ثانية ، وإلى مجلس الأمن وهيئة الأمم وسائر اللعب اليهودية فتوالت الهزائم ، وما نزل بلاء إلا بذنب كما قال عليّ بن أبي طالب ، وسلطت سيوف أعداء الله المجرمين على الأمة التي ضلت عن دينها ويوم تعاود دينها سيعود لها عزها وتمكينها بإذن الله تعالى ، فهناك قوة أعظم وأكبر من قوة الدول العظمى يمكنها أن تغير مسار المعارك والحروب ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) ﴾ [البروج : ٢٠] .

الحريات الزائفة

في النظام الديمقراطي

تنص النظم الديمقراطية على حق الشعوب في الحرية ، وإعطاء حرية العقيدة والرأي والتملك والحرية الشخصية للأفراد على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ، وتحمي هذه الحريات ولكن بشرط أن لا تستخدم هذه الحرية للتخريب وإشاعة الفتنة بين الناس، أما إذا استخدمت الحريات لهذا الغرض فإن هذه القوانين تمنع هذه الحرية وتضرب على أيدي مستغليها لذلك الغرض التخريبي الذي يؤدي في النهاية إلى هدم النظام القائم .

وهذه هي معاني الحرية وهي عبارة عن كلمات مجملة لابد من تفصيلها وتوضيح ما تنطوي عليه من معان ومخالفات لكتاب الله ولسنّة رسول الله ﷺ ، وما آل إليه واقع الحال بسبب تطبيق هذه الكلمات ، ففي ظل النظام الديمقراطي أصبح البعض يطعن في الرسالة ، ويكفر ، ويرتد ، وينشر المناهج الكفرية الخربة في وسط المسلمين تحت شعار حرية الرأي والتعبير ، ويتملك المال بأي طريق حتى ولو بالربا ، ولا اعتراض عليه في النظم الديمقراطية طالما أنه لم يتملكه بالإكراه .

بل ويزني ويُزنى به عملاً بالحرية الشخصية ولا عقوبة إذا وقعت الفاحشة بالتراضي بين الرجل والمرأة ، وقد قرأت خبراً في جريدة الوفد مؤداه أن فتاة ذهبت إلى القضاء تشتكي شاباً زنى بها ، فذهب هو والمحامي وأقر بالزنى بها ولكنه قال : إنه تم برضاها ، وكأنه كان يجيد الإفلات من القوانين الوضعية ومعلوم أن الإقرار هو سيد الأدلة ، ولا شك أنها حريات خاطئة وغير عملية وكلمات الحرية حين أطلقت كانت كلمات عامة مطلقة بمثابة السيارات التي تنطق دون فرامل وإلا فمن الذي يحدد النسب والشرط الذي وضعته النظم الديمقراطية ، وهو عدم إشاعة الفتنة والفرقة أصبح يستخدم أسوأ استخدام في الصد عن سبيل الله ومنع الحق وإعطاء الفرصة لكل باطل

وكفر أن يطل برأسه تعبيراً عن نفسه وترويجاً لما هو فيه وعليه من انحراف ، وأصبح المحافظة على النظام العلماني هو الغاية حتى وإن كانت هذه الحرية على حساب دين الله تبارك وتعالى .

وقد حاول الغرب الإجابة على السؤال بتحديد نسب الحرية دون جدوى حتى يومنا هذا ، فتارة يقولون : لا ينبغي أن تصل الحرية إلى حد الفوضى أو أنها لا ينبغي أن تكون على حساب الآخرين أو أنها تنتهي عند معارضة مصالح الآخرين أو حرياتهم .

تقول البروتوكولات عن المباديء التى رفعتها فرنسا ويسمونها بأم المباديء التحررية في العالم أجمع :

« **حرية - مساواة - إخاء** »: كنا أول من اخترع هذه الكلمات التي أخذ العميان يرددونها دون تفكير » ، وهذه المبادئ عبارة عن كلمات جوفاء متناقضة روج لها اليهود لضرب الدين والعقيدة وأصبح اليهود بمقتضاها يمارسون أنشطتهم كإنسانيين وأصبح الدين أمراً شخصياً ، فالحب والإخاء يكون في سبيل الوطن أو القومية ، وأصبح لا فرق بين مسلم وكافر ، وكانت الحريات على قدم المساواة بين الناس جميعاً ، ليس فقط لمن أراد أن يرقص ويثير الفواحش وينشرها على الملأ بل لمن وصف دين الله بأنه رجعي ومتخلف ، ومن التزم به متطرف وعنده هوس ديني .

ومن عجيب الأمر وفي الوقت الذي تعطى فيه الحريات لكل كافر ومنحل وأصبح فيها الحبل على الغارب نجد تضييقاً على المسلمين وحرباً هنا وهناك ، بل وفي فرنسا التي رفعت المبادئ الإنسانية والتحررية فقد رأينا كيف قامت الدنيا ولم تقعد بسبب إرتداء الفتيات للحجاب ، وهناك إبادات جماعية للمسلمين تدور في روسيا على يد هذا الخبيث « جوربا تشوف » الذي أطلق الحريات كما يقولون هنا ، وكأن الإنسان إذا رقص أو زنى في النظم الديمقراطية فهذه حرية شخصية ، أما أن يطلق لحيته أو تتجلبب المرأة فهذه هي الرجعية والتخلف ولابد من منع اللحية والنقاب . فهل يقصدون بالحرية التفلت من شرع الله وهدم دين الله ؟ .

يقول أحد القادة العرب : « لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين » واستجابت بعض النسوة وخرجت تهتف وتغني : « **أعطني حريتي** أطلق يديّ » وأصبح من الكلمات الدارجة على الألسنة قول البعض : « كل إنسان حر » ، أي في أن يفعل ما يشاء ويقول ما يريد دون رادع ، **وسمعنا أيضاً** عمن يسمى « بأصحاب الفكر المستنير » **وغيرها من الكلمات التي زخرفوا بها الباطل** والضلال .

حريــة الفكــر

حرية الفكر لدى التقدميين تعني الإلحاد وإذا كان الإسلام لا يبيح الإلحاد فهو إذن يبيح حرية الفكر على هذا النحو الذي تطالب به هذه النظم المارقة ، وما حدث من الكنيسة في أوربا من خنق لحركة العلم ، وتحريق العلماء وتعذيبهم وفرض الخرافات والأكاذيب على الناس باسم كلمة السماء ، الأمر الذي ولد عندهم الدعوة لحرية الفكر وفصل الدين عن الدولة .

هذا الأمر الذي حدث في أوربا ما حاجتنا نحن إليه وما علاقة الإسلام به ، وليس في العقيدة إشكال يحير الذهن فالله خالق كل شئ وإليه المرجع والمآب يحكم سبحانه لا معقب لحكمه ويقضي ولا راد لقضائه ، أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، وله الأسماء الحسنى أمر عباده أن يسلموا وجوههم له ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، وسخر لهم الكون من حولهم يأخذون بأسباب التطور ويقيمون حضارة على منهج العبودية لله في أرضه وبحيث تتطابق السنن الشرعية مع السُنن الكونية ، وليس في الإسلام رجال دين كالذين كانوا في أوربا ، فالدين دين الله ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأنعام : ١٣٢] ، والناس إما عالم أو متعلم ، ولا ينبغي لأحدهم أن يكون إمعة ينساق وراء كل ريح ، وأكرم الناس عند الله أتقاهم سواء كانت وظيفته مهندساً أو مدرساً أو عاملاً ، ولا واسطة بين الخلق وخالقهم إلا واسطة التبليغ « فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم » . والدين ليس حكراً لأحد ولا لهيئة وإنما هو لمن يحسن فهمه وتطبيقه حتى لو لم يتخرج من الأزهر ، ولا يصح لأحد أن يتكلم في دين الله بغير علم : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**

وأن تُشْركُوا باللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ به سُلْطَانًا وأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّه مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف : ٣٢ ، ٣٣] ، وباب الاجتهاد مفتوح لن حصّل أدوات النظر في كتاب الله وفي سُنّة رسول الله ﷺ وكانت عنده الأهلية في ذلك ، ومن لم يكن كذلك فإنه يرجع لعلماء الأمة المعتبرين لمتابعة فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء:٨٣] ، ولكل علم عالم فكما أن للهندسة علماؤها وللطب علماؤه كذلك الأمر بالنسبة لدين الله ، والأزهر بوصفه معهداً علمياً دينياً ليس سلطة تحرق العلماء أو تعذبهم أو تفرض الإتاوات والخرافات كما فعلت الكنيسة بخزعبلاتها ، بل لو أخطأ أحد علماء الأمة لوجب رده ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وقد رأينا كيف قال كثير من العلماء علماء الأمة : إذا رأيتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولي عرض الحائط .

ونحن عندما ننادي بتطبيق شرع الله والرجوع لدين الله فإننا نعني بذلك أن نصبغ بصبغة الإسلام أفراداً وجماعات في السياسة والإقتصاد والإجتماع والأخلاق وحينئذ ستظل الهندسة بين المهندسين وشئون الطب في يد الأطباء وشئون الإقتصاد في يد الإقتصاديين ... إلخ بشرط أن تستقيم في ذلك كله على شرع الله ولا تصطدم في معنى من معانيه بكتاب الله وبسنّة رسول الله ﷺ .

وليس في العقيدة الإسلامية ولا النظام الإسلامي ما يقف في طريق العلم المبني على أسس سليمة ، والعلم الصحيح لا يتعارض مع عقيدة المسلم في أن الله هو الذي خلق كل شئ ولا يتعارض مع دعوة الإسلام للناس في أن ينظروا في السماوات والأرض ويتفكروا في خلقها ليهتدوا إلى الله ، وقد اهتدي إلى الله كثير من علماء الغرب والشرق الملحدين أنفسهم عن طريق البحث العلمي الصحيح - فهل يصح بعد ذلك أن ننادي بحرية الإلحاد والكفر والإنحلال الخلقي والفوضى الجنسية بغير رادع ؟! ، تلك هي حقيقة المسألة وليس الجانب الفكري إلا ستاراً يغطون به

عبوديتهم للشهوات ثم يزعمون أنهم أحرار الفكر ، وليس الإسلام مكلفاً أن يطيع العبيد الذين أسرفوا على أنفسهم وأسرتهم واستعبدتهم شهواتهم ، والحرية الحقيقية كما نفهمها هي تحرير الفكر من الخرافة والشرك والشعوذة وتحرير الناس من الطغيان ، وهذه وتلك يملكها الناس في ظل الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فما الهدف الذي يريد الديمقراطيون تحقيقه إذن ؟ .

الخبر الصادق وإشاعة الفاحشة

أصرت كثير من الصحف ووسائل الإعلام على تخصيص جانب من مساحتها وجزء من جهودها لتتبع هذه الفواحش والقاذورات ونشرها على الملأ . ويفعلون ذلك ويظنون أنهم يحسنون الصنع لتعريتهم الحقيقة كما يقولون وفضح بؤر الفساد، وعذرهم في ذلك صدق الخبر وحرية التعبير والنشر، ونذكر جميع الذين ينشرون الجرائم الخلقية والذين يقرون نشرها نذكرهم بأن الله محاسبهم على جريمتهم هذه ولهم عذاب أليم ، وهذا العذاب دنيوي كما هو أخروي ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩)** ﴾ [النور : ١٩] .

ومن العذاب الدنيوي أن يجلد من ينشر فاحشة لا يستطيع أن يقيم الأدلة والبراهين على ثبوتها - والبينة على من ادعى - ولذا شرع الإسلام حد القذف ، فإذا ما اتهم شخص امرأة بالزنا - مثلاً - وليس لديه أربعة شهود فيقام عليه الحد فيجلد ثمانين جلدة ، والقاذورات والخبائث يجب أن تستر ولا تنشر وخصوصاً إذا كان مرتكبوها غير مشهورين بذلك ، ونشر الفواحش على هذا النحو من شأنه أن يغري ويجرئ الأبرياء والأصحاء بمقارفة الجريمة ، هذا ما ضجت منه المجتمعات الغربية والذين ينشرون هذه الجرائم أنفسهم يعلمون ما تحدثه الأفلام التي تعرض الجريمة من نشر للإجرام ، وترويج الصحف لا يكون بمثل هذا العمل غير المشروع ولا بنشر مثل هذه الجرائم ، وليس معنى ذلك ألا يعاقب مقترفوا هذه الجرائم وألا يؤخذ على أيديهم ، وإنما نريد أن لا تنشر على الملأ وتكتب في الصحف والمجلات ، ولا شك أن الذين يقترفون الفواحش آثمون ، والفواحش كلها نجاسات وقاذورات وخبث ودنس ، والذين يشيعون الفاحشة وزرهم عظيم عند الله ، فليتقوا الله ربهم وليخشوا عذابه ، وأليم عقابه وليعلموا أن الكلمة أمانة ويجب أن تستخدم في الإصلاح لا في الإفساد ،

وليحذروا سبيل قوم عناهم الله بقوله : ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** (٢٠٥) ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ، فاتقوا الله في أنفسكم ، واتقوه في أولادكم وبناتكم ، واتقوه في مجتمعاتكم .

ضوابط وحدود لحرية الرأيء :

فإبداء الرأي له حدود وضوابط لابد من مراعاتها وإلا فالحبل لا يصح أن يطلق على الغارب ولابد من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة ، **ومن هذه الضوابط :**

[١] أن يكون قصد صاحبه بذل النصح الخالص للخليفة أو الحاكم أو المسئول ، ففي الحديث الصحيح الـذي رواه الإمام مسلم أن النّبي ﷺ قال :[**الدين النصيحة**] **ثلاثاً** . قلنا : لمن ؟ **قال** :[**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**] [١] ، فلا يجوز للفرد أن يقصد في بيان رأيه في تصرفات الحكام التشهير أو تكبير سيئاتهم أو انتقاصهم أو تجرئ الناس عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الباطلة التي لا يرد بها وجه الله ولا الخير للمنصوح ولا المصلحة للأمة.

[٢] أن يكون بيان المسلم لرأيه في تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم في الأمور الإجتهادية التي لا نص فيها لأن رأيه ليس أولى من رأيهم ما دام الأمر اجتهادياً .

[٣] لا يجوز للأفراد إحداث الفتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأي إذا لم يأخذوا برأيهم ما دام الأمر يحتمل رأيهم ورأي غيرهم ويراعى في ذلك الضوابط الشرعية ، وذلك لأن شرع الله مصلحة كلها وحيثما كانت المصلحة الشرعية المنضبطة فثم شرع الله – ودرأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ، واختيار أخف المضرتين دفعاً لأعلاهما ، وتفويت أدنى المصلحتين استجلاباً لأعظمها ، وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق ، وكل هذا يحتاج إلى بصيرة بالشرع والواقع .

---

(١) رواه مسلم .

[٤] لا يجوز التشهير والطعن والسباب وفاحش الكلام والإفتراء والتضليل بحجة إبداء الرأى فليس من حق أحد أن يشيع الفساد بحجة إبداء الرأى ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)** ﴾ [الإسراء : ٥٣] ، وقد ورد في كتب أهل العلم والتحذير من آفات اللسان ، [**وهل يكب الناس على وجوههم**] أو قال النبي ﷺ : [**على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**] (١) .

[٥] لابد من العدل في الغضب والرضا ، والعدل واجب حتى مع الكافر ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٨] ، ولابد أيضاً من الحذر من الفجر في الخصومة فهي من خصال المنافقين وأبغض الرجال عند الله الألد الخصم أي الذي يفجر في خصومته .

[٦] إبداء الرأى لا يتم على وجهه الصحيح إلا بتربية الأفراد على معاني العقيدة الإسلامية ومخافة الله سبحانه في السر والعلن ، وقيام الحاكم بمشاورة أهل الحل والعقد لا يعني أن غيرهم من أفراد الأمة لا حق لهم في إبداء آرائهم في شؤون الحكم أو إزالة المفسدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين والولاية المنعقدة بينهم بسبب ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[التوبة : ٧١] ، ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المشهور : [**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**] (٢) .

والقيام بهذا الواجب يستلزم تمتع الفرد بحق إبداء الرأي بالمعروف الذي يأمر به وبالمنكر الذي يريد كغيره ، وهذا الحق للأفراد متم للشورى وبه عيان الحاكم على

---

(١) ابن ماجه ، والترمذي والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .

معرفة الصواب وتجنب الخطأ ، فقد يفوت أهل الشورى بعض الأمور التي يعرفها غيرهم من أفراد الأمة ، وعلى هذا فلا يجوز للحاكم أو لغيره من أولياء الأمور الإنتقاص من هذا الحق للأفراد ، كما لا يجوز للأفراد التنازل عنه أو تعطيله لأنه حق أوتوه من الشرع ليتمكنوا من أداء ما افترض الله عليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهذا كان الحكام الصالحون يربون المسلمين ويحثونهم على إبداء الرأى ، وقد حدث أن قال رجل للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً : « اتق الله ياعمر ، فما كان من عمر إلا أن قال : ألا فلتقولوها ، فلا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها » ، وفي خطبة لأبي بكر الصدق رضي الله عنه قال : « فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني » .

والبون شاسع والفارق كبير بين الحرية المضبوطة بشرع الله وبآداب الإسلام وهذه الحريات والهلاميات في النظم الديمقراطي .

حرية التملك :

يقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وهذه الوسطية محققة في كل ناحية من نواحي الحياة ، ومنها جانب التملك ، فبينما تمنع النظم الإشتراكية الإلحادية التملك ، وتقف الرأسمالية في الجانب المقابل فأطلقت حرية التملك بلا قيد أو شرط إلا الغصب والإكراه نجد أن الإسلام قد راعي الفطرة التي أودعها الله في نفوس عباده وحقق العدل والمصالح الحقيقية للبلاد والعباد في نظام التملك فلا بأس أن يتملك الإنسان الملايين ولكن عليه أن يأخذ المال من حله وأن يضعه في حقه ، والمسلم يسأل عن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه ؟ ولذلك قال العلماء : « مصيبتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله إذا مات » .

والمسلم يتملك المال بوسائل كثيرة منها :

[١] العمل في الصناعة والزراعة والتجارة والصيد وإحياء الموات والمضاربة .

[٢] الميراث .

[٣] الأعطيات التي تدفعها الدولة لرعاياها .

[٤] الهدية والهبة أو الوصية .

ويحرم عليه التملك بوسائل منها :

﴿ أ ﴾ الغش . ﴿ ب ﴾ الإحتكار .

﴿ جـ ﴾ الغبن الفاحش . ﴿ د ﴾ الربا .

﴿ هـ ﴾ القمار . ﴿ و ﴾ التسعير بلا ضرورة .

﴿ ز ﴾ التأمين الذي يعتبره العلماء ربا وقماراً وغرراً مثل التأمين على الحياة وعلى الساقين والحنجرة والعينين .

ويمنع المسلم من الإسراف بل ويحجر عليه في نفقة الدرهم في حرام كما يمنع أيضاً من الهبة في مرض الموت ﴿ **وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ** ﴾ [النساء : ٥]، ولا يصح له أن يزيد على الثلث في الوصية لقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين هم بأن يتصدق بكل ماله : [**الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**] [١] ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : [**وددت لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع**] [٢] .

والمال إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول القمري الكامل وجب على الإنسان أن يخرج ربع العشر ويقوم ذلك تبعاً للفضة (٦٢٤ جرام) والأصناف التي تجب فيها الزكاة ومقدارها وكيفيتها موضحة في كتب الفقه وليس غرضنا هنا التفصيل والإستقصاء وإنما لنبين مدي الفارق بين الإسلام وبين غيره من النظم ، وهذه الزكاة هي حق معلوم ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٦٠] ، ومن شأنها أن تطهر المال وتنميه ، وتشيع روح الأخوة والمحبة الإيمانية بين الغني

(١) ، (٢) رواه البخاري ومسلم .

والفقير ، ولا يصح إستبدالها بنظام الضرائب كالضرائب التصاعدية وضرائب التركات وغيرها من صور الظلم ، وإلا فمال الأغنياء لابد من صونه وعدم التطلع له ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: [**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**] [1] ، ويوم حجة الوداع قال : [**ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟**] ، قالوا : [نعم] [2] .

فإذا قامت حاجة شرعية أو ضرورة مقتضية ولم تكف الزكاة لسدها لجائحة أو حرب أو مجاعة ، وخلا بيت المال من المال وتنازل الحاكم وأعوانه عما لديهم حينئذ يستوجب الحاكم أن يأخذ من مال الأغنياء أكثر من أموال الزكاة ، كما حدث في عهد السلطان بيبرس وقطز ويوسف بن تاشفين ، وأفتى بهذا النووي والعز بن عبد السلام وعبد الله بن الفراء .

وبعد أن جربت الأمة النظم الإشتراكية والرأسمالية فانتقلت من نكبة إلى أخرى ، لن نقول لها جربي الإسلام ولكن نقول : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ** ﴾ [الزمر : ٥٤] ، واستقيموا على شرع ربكم ففيه الأمن والأمان والراحة والإطمئنان ، وإذا كان رأس المال كما يقولون جبان لا يطمئن إلا بالأمان والقضاء على مثيري القلائل ، فلا أقوى من حكم الله ورسوله ، ورقابة الإسلام أقوى من رقابة البوليس وأجهزة الأمن ، وتحصين المال إنما يكون بالزكاة وليس بدفع أقساط شركات التأمين .

والربا الذي يتعامل به الأفراد والحكومات لا يمكن أن يسبب رخاءاً وعمراناً ولا أن يتقوى بـه الإقتصاد ورب العزة جل وعلا يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)** ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩]،

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] ، ولا طاقة لأحد بحرب الله ، وأي فلاح يحدث لمن آذنه رب العزة وجل وعلا بالحرب والواقع خير شاهد على ذلك ، فالإطمئنان والأمان لا يحدثان إلا بالرجوع لدين الله سياسة واقتصاداً ، خلقاً واجتماعاً ، حرباً وسلماً ، أفراداً وجماعات ، فنحل ما أحل الله ونحرم ما حرم الله عز وجل ، وندور مع إسلامنا حيث دار ، وإذا كان الربا ثمانين باباً أيسرها مثل أن ينكح الإنسان أمه ، فالواجب علينا أن ننتهي عنه تعظيماً لحرمات الله وتحقيقياً للسعادة التي ننشدها في الدنيا والآخرة بعكس الوعود والخيالات في الأنظمة الكفرية والتي تتبدد كالسراب الذي ينخدع به العطشي والظمأي ولا حقيقة له إلا الضياع والنكد .

حكم الانضمام للأحزاب

وبدعة تقسيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) ﴾ [الأنبياء : ٩٢]، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣]، ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد وأن الباطل كثير لا ينحصر فالواجب على الإنسان أن يعيش بالإسلام وللإسلام وأن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم ، وإذا كانت سنة الله قد اقتضت دفعاً بين الحق وبين الباطل ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] ، فالواجب علينا أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في إقدامنا وإحجامنا ، وفي حركاتنا وسكناتنا وفي أقوالنا وأفعالنا ، وعلينا أن نستبشر فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين الذين يأخذون بالأسباب الشرعية ويستفرغون وسعهم فيها ويفوضون الأمر كله لله ، والفارق كبير بين المسلم والكافر ، فالمسلم يحب في الله ، ويبغض في الله يعطي لله ، ويمنع لله أما الكافر فإنه يحب لهواه ويبغض لهواه ، فهواه هو مولاه الذي يقوده إلى حتفه وهلاكه .

وإذا كانت النظم الديمقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد الأحزاب وكل حزب له برنامجه المعبر عنه ، وله أيضاً رايته ومن يمثله ، فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعي ماركسي ، وما هو وطني ، ومنها ما هو ليبرالي علماني ، وكثيراً ما نرى الصراع يحتدم ليس فقط بين الأحزاب الموجودة على الساحة بل بين أبناء الحزب الواحد لأسباب عديدة ، وتنتهي هذه الصراعات بحروب في أغلب الأحيان في أخف أحوالها حروب كلامية وإعلامية وشأنه في ذلك كشأن اليهود والنصارى ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ

شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم ﴾ [البقرة : ١١٣]، إختلاف مريب ولا يمكن أن يجتمع الناس إجتماعاً صحيحاً يرضي الله إلا إذا صبغوه بصبغة الإسلام يقول تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وهؤلاء الأنبياء دينهم واحد ودعوتهم واحدة ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** (٨٥) ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** (٦٤) ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وهذه الأحزاب بدعة منكرة ، وهي أثر من آثار الإستعمار أحدثها المستعمرون ليفرقوا بين أبناء الأمة الواحدة وليجعلوا أبناء الوطن الواحد شيعاً وأحزاباً بعد ذلك ، نعم وجدت الشورى وحدث نوع من الإستيضاح أو الإعتراض حتى على بعض الخلفاء في حالة مخالفة النصوص الشرعية كما اعترضت – فيما روى – المرأة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد تحديد المهور ، ولكن هل سمح بقيام أحزاب بمناهج تخالف دين الله وتكفر به بزعم حرية الرأى والتعبير تنشر وتروج المبادئ التي تدين بها في وسط المسلمين ؟! هذا لم يحدث أبداً وقد رأينا الثمار المرة لهذه الأحزاب من تفريق للناس وتنابذ وتراشق بالتهم في الجرائد والمجلات كما هو حاصل مشاهد ، فالإنضمام إلى حزب من هذه الأحزاب هو في نفسه بدعة لا يقرها الشرع ، فكيف إذا انضم مع ذلك عدم تمسك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريقاً لنيل أغراضهم ومطلوبهم ولا شك أن من يمشي في ركاب هؤلاء ويهتف بحياتهم ويضحي بنفسه وماله في سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره يقول النبي ﷺ : [**من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته ، أو يدعو إلى عصبته ، أو ينصر عصبته فقتل فقتله جاهلية**] [١] .

---

[١] رواه مسلم .

ارتفعت رايات كثيرة مارقة للتكتل تحتها بدل راية الإسلام ، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون ، والدين لا يعرف مثل هذه الأحزاب وإنما يأمرنا إذا أحدق الخطر بنا أن نتعاضد ونتعاون ونقوم قومه رجل واحد للدفاع عن ديننا الذي لا حياة للأمم والأفراد بدونه وما سوى ذلك فهو مراد باطل ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق .

والناظر إلى الدنيا من حولنا سيجد كتلاً شرقية وغربية وقوميات وشعوبيات ووطنيات ، ثم مناهج وفلسفات بين أبناء الوطن الواحد ثم تجاه الحاكم ومنهجه ينقسمون إلى مؤيدين ومعارضين وهذه الحالة لابد وأن تشحذ همم المؤمنين الذين يستعينون بربهم ليجاهدوا بدين الله من كفر بالله يدعون الإنسانية كافة لتسلم وجهها لله رب العالمين ويقيمونها خلافة على منهاج النبوة تطبق دين الله وتسوس الدنيا به ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان : ١] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**] .

أبي الإسلام لا أبا لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

والحب يجب أن يكون في الله والبغض كذلك ، يقول الرسول ﷺ : [**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**][1] ، والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان ، والباطل مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان ، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وليس منا معصوم ولا كامل .

ولابد من مراعاة أدب الخلاف ، والخلاف الذي يصادم نصاً من كتاب أو سنة خلاف ساقط وغير معتبر ، والميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال ونميز به الغث والسمين هو ميزان الكتاب والسنَّة ، والحاكم الذي يطبق شرع الله إذا أخطأ في مسألة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ، وحسنه الألباني – رحمه الله – .

أو جانب الحق في فعل لا يصح الخروج عليه ولا تأليب العامة وإحداث الفتنة حوله ، ويقول النَّبي ﷺ : [**سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله**] ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، فالواجب علينا جميعاً أن نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام :

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها ، يسعنا ما وسعهم من الخلاف ، وتتوحد كلمتنا على منهج الله ، وحينئذ سنأخذ بأسباب التطور الحقيقية من العلم النافع ، والعمل الصالح ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وحينئذ أيضاً سنعرف بإذن الله من الذي نواليه ومن الذي نعاديه ، ومن الذي نؤيده ومن الذي نعارضه .

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

« والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات : ٩] ، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي ، والأمر بالإصلاح بينهم ، فليتدبر المؤمن الفارق بين هذه النوعين ، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر يجب معادته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه » أ . هـ .

بماذا نحكم
على من ينادي بالديمقراطية ؟

وقد اتضح لنا أن الإسلام شئ والديمقراطية شئ آخر ، وظهر لنا مدى انحرافها عن كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ ، وخطر المناداة بها ، فبماذا نحكم على من يتكلم بالديمقراطية ؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في معرفة الحكم الشرعي ومعرفة معنى الكلمة وحالة من ينادي بها ثم تطبيق الحكم على الواقع المساوي له وكما يقول العلماء : الحكم على الشئ فرع من تصوره ، وإذا كانت الكلمة يونانية والمبادئ التي تنطوي تحتها كفرية وثنية ، والشرك شئ واحد تتفق صوره في أنها قصد لغير الله في التوجه والطلب ، والتشريع والتعظيم والتقديس ، وهذه معانٍ متحققة في كلمة الديمقراطية إلا أن المتكلمين والمنادين بها يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فيما بينهم ، فمنهم الذي يرددها بلسانه وهو يصلي ويصوم ، وينادي بتطبيق حكم الله في كل مجالات الحياة – ومنهم من ينطق ويردد كالببغاوات ويظن أنه يُحسن الصنع لكونه أحسن التلفظ والنطق بها ، ومنهم من يرى أن يسدي جميلاً ويقدم خدمة للإسلام عندما ينادي بالديمقراطية الإسلامية ، ومن هؤلاء من يظن أن الديمقراطية هي الشورى الإسلامية ، وكل هؤلاء جهال بحقيقة هذه الكلمة وما تنطوي عليه ، ومن المنادين بها من هو من عتادة المجرمين والملحدين فكيف يأخذون حكماً واحداً وأحوالهم على هذا النحو من الإختلاف !! .

ونحن حين نقول عن الديمقراطية هي منهج وثني كفري ، فليس معنى ذلك أن نكفر كل من نادى بها ، فقد يكون القول كفراً ويطلق القول بتكفير قائله ، أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه ، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع وحتى تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيىّ من حيىّ عن بينة .

يقول النووي في « شرحه لصحيح مسلم » جـ (١) ص ١٥٠ :

« اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع (كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم) وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه ، فيعرف ذلك ، فإن استمر حكم بكفره ، وكذلك من استحل الزنا أو الخمر أو القتل ، أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة » .

ونقل السيد صديق حسن خان في « الروضة الندية » ما قاله الإمام الشوكاني في كتابه « السيل الجرار » « اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار ، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية عن طريق جماعة من الصحابة أن « **من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما** » هكذا في الصحيح ، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما « **من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه** » أي رجع وفي لفظ في الصحيح « **فقد كفر أحدهما** » ففي هذا الحديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ من الإسلام في التكفير ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا** ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فلابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك ، لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ولا اعتبار بلفظ يلفظ به المسلم يدل على الكفر ولا يعتقد معناه » أ . هـ .

وعلينا أن نسعى في توصيل الحق إلى الخلق دون تنفير الناس وأن نواصل النهار بالليل في ذلك ، لا ندخر وسعاً ولا يصح إعطاء الدعوة الفتات من أوقاتنا في وقت يموج بعشرات الفلسفات والمناهج الخربة يحملها أهلها ويبذلون الغالي والرخيص

والنفس والنفيس في سبيل إبلاغها ، ولابد من التعرف على الواقع والشبهات التي ورثها الناس جيلاً بعد جيل بفعل وساوس الشياطين وأعداء الإسلام والناس ، وإن كانوا قد ورثوا الإسلام إلا أنهم جهلوا معانيه والوقت الذي نعيش فيه وقت غربة وجهالة انتقلت من عوام الناس إلى بعض من ينتسب للعلم الشرعي فلا يصح التسرع في إطلاق أحكام التكفير على عواهنها ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٩] ، فنعرف الحق ونرحم الخلق ، وإذا كان القطار يسير بأقصى سرعة فلا يليق بنا أن نجلس على مقاعد المتفرجين في وقت يسابق الريح ، وقد شرفنا رب العزة جلا وعلا بالإنتساب لدينه وبصرنا بالواجب والحق الذي خلقنا من أجله ، ونسأله سبحانه التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل .

نماذج للتأسي وكلمات مأثورات

أبو بكر الصديق رضي الله عنه **:**

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، قد وليت عليكم وليست بخيركم ولكن قد نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا ، اعلموا أن أكيس الكيّس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني » .

وعن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال: « أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، وإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال لهم :﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء:٩٠] ، اعملوا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفني عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم القيامة وإنما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا « أي السرعة السرعة » النجاء النجاء ، إن وراءكم طالباً حثيثاً مره سريع » .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال : « لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ دعا عمر فقال له : اتق الله ياعمر واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحُق لميزان يوضع فيه الحقُ غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً ، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأخاف أن لا ألحق بهم ، وإنَ الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم أسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله ، فإن حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه » .

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت :** « لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي ، فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح « بعير » كان يسقي بستاناً له ، فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال : رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً » .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن الأوزاعي رحمه الله **قال :** « أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، قال طلحة : ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع ؟ » .

وعن ابن عمر ﷺ قال : « قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها : مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال لها : ويحك إني لأراك إلا سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة إني أريغه عن الفطام فيأبي قال: ولم ؟ لأن عمر لا يفرض إلا للفطم قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، قال : ويحك لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال : يا بؤساً لعمر ، كم قتل من الأولاد المسلمين ! ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام،وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام » .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : [كان عمر يصوم الدهر وكان زمان الرمادة « سنة جدب وقحط » إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد في الزيت إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد فقال: أني هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم قال: بخ بخ «استعملت هنا على سبيل الإستياء والتهكم » بئس الوالي أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها « رؤوس العظام » ارفع هذه الجفنة هات لنا غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت فجعل بيده يثرد ذلك الخبز ثم قال: ويحك يا يرفأ « وهو مولى عمر » ارفع هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثمغ «موضع تلقاء المدينة» فإني لم أتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين « خالين من الطعام » فضعها بين أيدهم] .

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال : « كان عمر بن الخطاب يقول : لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر » .

وعن ثابت بن الحجاج قال عمر ﷺ : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا

أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، تزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾[الحاقة : ١٨] .

وعن وديعة الأنصاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يعظ رجلاً : « لا تكلم فيما لا يعنيك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين، والأمين من يخشى الله ، ولا تمش مع الفجار فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك ، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل » .

عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عن أبي بكر رضي الله عنه قال : [**كنا نخير « نفاضل » بين الناس في زمان رسول الله** ﷺ ، **فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان**] [١] ، وعن عبد الله قال حين استخلف عثمان : « استخلفنا خير من بقي ولم نأله لم نقصر في ذلك » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٩] ، قال هو عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد صح عن عمر أنه جعله في أهل الشورى ، وشهد له أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض ، وقد صح عن أبي بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيتين عند موته ، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمي عليه – فكتب عثمان « عمر » فلما أفاق قال : من كتبت ؟ قال : عمر ، فقال : لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً .

وعن يونس أن الحسن سئل عن القائلين « الإستراحة وقت نصف النهار » في المسجد فقال : رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ، ويقوم وأثر الحصى بجنبه ، قال : فنقول هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين [٢] .

وقال الحسن : « رأيت عثمان نائماً في المسجد ، ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثم يجيئ الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم » .

---

(١) انفرد البخاري بإخراجه .
(٢) رواه أحمد

وعن سلمان بن موسى « أن عثمان بن عفان دعى إلى قوم كانوا على أمر قبيح ، فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ، ولم ير الأمر القبيح ، فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة » .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : [أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركضه « ضربه » بقدمه ثم قال : اسكن حراء فما عليك إلا نبيٌ أو صدّيق أو شهيد ، وأنا معه ، فانتشد « أي أجابوه » له رجال – قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذا بعثني إلى المشركين من أهل مكة ، قال : هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع ، فانتشد له رجال – قال أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : من يوسع لنا هذا البيت في المسجد في الجنة فابتعته من مالي ، فوسعت به المسجد فانتشد له رجال ، قال : وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالي ، قال : فانتشد له رجال ، قال : وأنشد بالله من شهد رومه « بئر بالمدينة » لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن » يباع ماؤها لابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها لابن السبيل ، فانتشد له رجال] (١) .

وعن ابن سيرين . رحمه الله . قال : « قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان : قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن » .

وعن مطرّف قال : « لقيت علياً رضي الله عنه فقال لي: يا أبا عبد الله ما بطأ بك عنا ، أحب عثمان ؟ أما لئن قلت ذلك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب تعالى » .

عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : خلّف رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يارسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ **فقال:** [**أما ترضى أن تكون منـي بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي**] (٢) .

---

(١) رواه أحمد . (٢) أخرجاه في الصحيحين .

عن زر بن حُبيش قال : قال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : والله إنه لما عهد إلى رسول الله ﷺ أنه قال : [**لا يُبغضني إلا منافق ولا يحبني إلا مؤمن**] [(١)] .

وعن أبي صالح قال : « قال معاوية بن أبي سفيان لضرار : صف لي علياً . فقال : أو تعفيني ؟ قال : بل صفه قال : أوتعفيني ؟ قال : لا أعفيك قال : أما إذاً فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواصيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله عزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب « الغليظ الخشن » كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييئس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سُجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، وكأني أسمعه وهو يقول : يا دنيا أبي تعرضت أم لي تشوفت ؟ هيهات هيهات غري غيري قد بتتك « طلقتك طلاقاً بائناً قاطعاً » ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ، قال : فذرفت دموع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية رحمه الله : يا أبا الحسن كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذُبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها » .

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال : « رأيت علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول : من يشتري مني هذا السيف ؟ فو الذي خلق الحبة لطالما ما كشفت

---

(١) رواه مسلم .

به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته » .

وعن مهاجر بن عمير قال : قال علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه : « إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل : فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الأخرة ، وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل » .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما **أنه قال :** « ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليَّ عليّ بن أبي طالب ، فإنه كتب إليَّ « أما بعد فإن المرء يسؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً ولكن همتك فيما بعد الموت » .

وعن زيد بن وهب قال : « قدم عليّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له : الجعدين بحجة فقال له : اتق الله يا عبد فإنك ميت فقال له عليّ رضي الله عنه : « بل مقتول » ضربه على هذا تخضب هذه – يعني لحيته من رأسه – عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افترى » .

معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه :

قال ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية : « فأيام معاوية أول الملك فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم » قال الطبراني وساق الحديث بإسناده عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا : قال رسول الله ﷺ : [**إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ثم يكون رحمة وخلافة ثم كائن ملكاً عضوضاً ثم كائن فتوا وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحرير والفروج والخمور ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل**] [(١)] . أ . هـ .

---

(١) إسناده جيد .

وقد ورد عن معاوية بإسناد فيه ضعف وله شواهد من وجوه أخر – قال : « والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي: « **يا معاوية إن ملكت فأحسن** » .

وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من أن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن عليّ ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة يوم الفتح ، وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح .

ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى .

والواجب علينا أن نمسك عما حدث وشجر بين صحابة النّبي ﷺ فهم خيار أولياء الله المتقين وكلهم عدول وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده ويكفيهم شرف الصحبة لرسول الله ﷺ وقد اجتهدوا رضوان الله عليهم في إقامة الحق والعدل منهم المصيب ومنهم المخطئ والمصيب له أجران والمخطئ له أجر ولا يصح التنقص من معاوية رضي الله عنه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**أصحابي أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه**] [(١)] ، وكان أبو أيوب يقول : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة » ولم يزد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على أن قال في خلافه مع معاوية : « إخواننا بغوا علينا » .

وكان مع معاوية أناس ممن شهدوا بدراً ، وكأن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم .

وكان معاوية هو ولي دم عثمان ، وقد طالب علياً بضرورة التعجيل بالقصاص من

---

(١) معناه في الصحيحين .

قتلته فشابه في ذلك موقف السيدة عائشة وطلحة والزبير وكان الحق والصواب مع عليّ فرضي الله عنهم جميعاً ثم خلع الحسن نفسه من الخلافة بعد ذلك ، وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعدها بايعه الناس - واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة .

وقد كان معاوية بمثابة شمس سطعت بعد شموس أربعة ملئت الدنيا نوراً وضياءاً فخفت ضوئها قليلاً بالمقارنة عمن سبقه من الخلفاء الراشدين .

وقد أصاب ابن القيم حين قال : « نحن في زمن لا يصلح أن يولي علينا فيه مثل معاوية بن أبي سفيان ولا عمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبي بكر وعمر» . راجع كتاب « العواصم من القواصم » لأبي بكر بن العربي .

عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - :

عن سهل بن يحيي بن محمد المروزي قال : أخبرني أبي محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز بن سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجه فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها فقال : ما لي ولها ، نحوها عني قربوا إلى بغلتي ، فقربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال : تنح عني ما لي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم .

فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فول أمرنا باليمن والبركة ، فلما رأي الأصوات قد هدأت ، ورضي به الناس جميعاً حمد

الله وأثنى عليه وصلى على النّبي ﷺ وقال : أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شئ وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الإستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبا حياً لمعرق في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابه ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني لا أعطي أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال : يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ، ثم ذهبو يتبوأ مقيلاً ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال :

يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أي بني أقيل ، قال : تقيل ولا ترد المظالم ؟ ، قال : أي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم ، قال يا أمير المؤمنين : من لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال : ادن مني أي بني ، فدنا منه والتزمه ، وقبّل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني .

فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادي : ألا من كان له مظلمة فليرفعها ، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي والعباس جالس فقال له : يا عباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك بكتاب الله عز وجل ، فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، قم فاردد عليه ياعباس ضيعته فرد عليه .

فجعل لا يدع شيئاً مما كن في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة ، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ، وما رد من المظالم اجتمعوا فقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل .

فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه أنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنئا لمن بعدهم من أولادهم ، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذا عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها في بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا ، فلما قرأ كتابه كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم – من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد ، السلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعد ، فإنه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه ، أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأمك بنانة أمة السكون كانت تطوف في سوق حمص وتدخل وتدور في حوانيتها ثم الله أعلم بها ، اشتراها ذبيان من فئ المسلمين ، فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أني من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل ، الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ، وما أكثر خصماءكما يوم القيامة ، وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر، أذن له في المعازف واللهو والشرب ، وإن أظلم مني ، وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً في خمس العرب ، فرويداً يا ابن بنانة ، فلو التقى حلقتا البطان، ورد الفئ إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، فإن لكل فيك حقاً ، والسلام علينا ، ولا ينال سلام الله الظالمين .

علمــاء وأمــــراء

● ذهب عبد الملك بن مروان يوماً لزيارة المدينة ودعي أبو حازم للقائه فما كاد يراه حتى دار بينهما هذا الحوار :

يا أبا حازم ما هذه الجفاء ؟ .

أبو حازم : أي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين .

الخليفــة : وجوه الناس زاروني ولم تزرني .

أبو حازم : ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك .

الخليفــة : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت .

أبو حازم : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب .

الخليفــة : صدقت ، ترى ماذا لنا عند الله غداً ... ؟ .

أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعرف مكانك غداً .

الخليفــة : وأين أجده في كتاب الله ؟ .

أبو حازم : عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْـرَارَ لَفِي نَعِيــمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)** ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] .

الخليفــة : فأين رحمة الله إذن ؟ .

أبو حازم : قريب من المحسنين .

الخليفــة : وكيف لنا أن نصلح أنفسنا ؟ .

أبو حازم : تتركون الصلف وتتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية وتعدلون بين الناس وتأخذون المال بحقه وتضعونه في حقه .

الخليفــة : يا أبا حازم ألا تصحبنا فننتفع بك وتنتفع بنا ؟ .

أبو حازم : إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا أجد لي منه نصيراً .

الخليفـة : إذن فأرفع إليَّ حاجتك أقضها لك .

أبو حازم : تدخلني الجنة وتحرم عليَّ النار .

الخليفـة : ليس ذلك لغير الله .

أبو حازم : وليس لي حاجة سواها .

الخليفـة : يا أبا حازم ما رأيك فينا ؟ .

أبو حازم : تعفيني من هذا السؤال .

الخليفـة : إنها نصيحة تلقيها إلينا .

أبو حازم : إن آباءك اغتصبوا هذا الأمر من الناس أخذوه عنوة بالسيف من غير شورى ولا اختيار ، وقد قتلوا من أجله خلقاً كثيراً ، وبعد حين رحلوا فلو تدري مصيرهم عند الله .

وضاق البعض أو تظاهر بالضيق فقال أحدهم لأبي حازم : بئس ما تخاطب به الخليفة ، فلفحه أبو حازم بصوت غضوب : كذبت ، إن الله أخذ على العلماء ميثاقه ليبينن للناس أمره ولا يكتمونه .

وعاد الخليفة يسأله النصح : يا أبا حازم أوصني .

أبو حـازم : نعم سأوصيك وأوجز ، نزه الله وعظمه حيث لا يراك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك .

وينهض أبو حازم ذاهباً ، ويتناول الخليفة صرة منتفخة بالدنانير ، وقال لأبي حازم على استحياء :

ألا تقبل منا هذه ؟ . ونظر لها أبو حازم باشمئزاز وقال : والله ما أرضها لك فكيف أرضاها لنفسي .

● ولما دخل الإمام سعيد بن جبير – رحمه الله – على الحجاج بن يوسف الثقفي

ابتدره الحجاج قائلاً : ما اسمك ؟ .

سعيـــد : سعيد بن جبير .

الحجاج : بل شقي بن كسير .

سعيـــد : بل كانت أمي أعلم بإسمي منك .

الحجاج : شقيت وشقيت أمك .

سعيـــد : الغيب يعلمه غيرك .

الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

سعيـــد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً .

الحجاج : الويل لك يا سعيد .

سعيـــد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار .

الحجاج : اختر لنفسك القتلة التي تريد أن تقتل بها .

سعيـــد : بل اختر أنت يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة ، وخرجوا به فضحك سعيد ، فأرجعوه وسأله الحجاج عن سبب ضحكه فقال سعيد :

عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك - فوجهوه للقبلة لقتله فقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٧٩] ، فحولـه لغير القبلـة فقـال سعيد : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، فبسطوه على وجهه فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه : ٥٥] ، ثم قتلوه وهو يدعوا على الحجاج ويقول : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

فمات بعدها الحجاج بأيام وهو يقول : ما لي ولسعيد بن جبير ، ما لي ولسعيد بن جبير .

● **كان سعيد بن المسيّب يقول :** « لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكيْ لا تحبط أعمالكم » .

وسئل الإمام مالك عن الخارجين عن الحكام أيجوز قتالهم ؟ :

فقال : نعم إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز ،قالوا : فإن لم يكونوا مثله ، قال : دعهم ينتقم الله من ظالم لظالم ثم ينتقم من كليهما .

ومن أقوال الإمام أحمد رحمه الله : « إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق ؟! » .

ولما أدخل الإمام أبو حنيفة السجن وضرب بالسياط بين يدي أبي جعفر المنصور ، وكانت أمه تزوره ، وفي يوم قالت له : « يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه ، فأجابها : يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة » .

ويذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية حين ورد الأمر بسجنة في قلعة دمشق أظهر السرور وقال : « إني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم – ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما رحلت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة .

ولما رأى أسوار السجن قال : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد : ١٣] .

وحبس معه ابن القيم فقال له مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه ، ويقول ابن القيم : وسمعته يقول في سجوده وهو محبوس : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك » .

وقد ألف الإمام السرخسي كتابه « المبسوط » في الفقه في ثلاثين مجلداً وهو محبوس في الجب – وكان سبب الحبس كلمة نصح بها الخاقان – وقد أملى المبسوط على تلاميذه أعلى الجب ، وقال عند فراغه من شرح العبادات : هذا آخر

شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات ، وقال آخر شرح الإقرار : انتهي شرح الإقرار المشتمل من المعاني على ماهو من الأسرار بإملاء المحبوس في مجلس الأشرار ، ولما وصل إلى باب الشروط حصل له الفرج . وللسرخسي كتاب في أصول الفقه ، « وشرح السير الكبير » أملاه وهو في الجب .

وكان العز بن عبد السلام رحمه الله يقول : من آثر على نفسه أثره الله والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين » .

ولما طللع العز يوماً إلى السلطان أيوب في يوم عيد بالقلعة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه فالتفت إليه الشيخ وناداه : يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئ لك ملك مصر وأنت تبيع الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا؟ قال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، فلما رجع العز سأله الباجي : كيف قلت للسلطان هذا ؟ فقال له الإمام العز رحمه الله : استحضرت رهبة الله فكان في عيني مثل القط .

ويأتي أبو سعيد يوماً للإمام أحمد وهو في محنته يقول له : يا إمام قلها فإن لك عيالاً « أي وافق الخليفة فيما يطلب » فيقول له الإمام أحمد : انظر من الشرفة ، فنظر أبو سعيد ووجد خلقاً كثير قد اجتمعوا لكتابة ما يقول الإمام أحمد ، فرجع له تلميذه يصف له المشهد ، فقال له إمام أهل السنّة : ما كان لي أن أنجو بنفسي وأضل هؤلاء ، ولما قيل له يوماً : يا إمام أأنت وحدك على حق وهؤلاء على الباطل ؟ قال : ويحك أتعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه .

وبلاغ الحق والوقوف في وجه الباطل صورة مكرورة ، فقد جاء المهلب بن أبي صفرة لمالك بن دينار يوماً فقال له : لا تعرفني ؟ فأجابه ملك بن دينار : بل أعرفك حق المعرفة ، فيسأله المهلب : وماذا تعرف عني ؟ فيجيبه ما لك : أما أولك فنطفة مذرة وأما آخرك فجيفة قذرة ، وأنت بين أولك وآخرك تحمل العذرة ، ولا شك أنها

حقيقة تعينه على تواضع كريم .

ويتصدي طاووس لواحد من هؤلاء ، وأخذت ابنه عليه خيفة فاقترب منه وهمس في أذنه يخبره أن هذا الذي أمامه حاكم خراسان ، فقال طاووس لابنه : « إني أعرفه وإنما ألقنه هذه الكلمات ليعلم أن لله عباداً لا يعبأون بما في أيديهم من دنيا وسلطان وأن سلطانهم بغير تقوى الله لا يزيدهم في أعيننا إلا هواناً » .

وكان أبو مسلم الخولاني يقول : « لا يصلح الناس إلا بإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس فكما تكونوا يول عليكم » .

وجاء أحد الحكام لمالك بن دينار يقول له : ادع الله لي ، فأجابه مالك : «وكم من مظلوم بالباب يدعوا عليك » ، وسأله آخر الدعاء فقال : كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم ، أيستجاب لواحد ولا يستجاب لألف .

ويأتي آخر تراوغه ذبابة فيتوجه إلى جعفر الصادق بسؤاله : « يا أبا عبد الله لماذا خلق الله الذباب ؟ فيجيبه جعفر : ليذل به الجبابرة » .

وبعث أبو حازم « سلمة بن دينار » للزهري « وكان بينه وبين عبد الملك ابن مروان مودة وكان يزوره ويحضر مجالسه » عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، ورحمك من النار فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، لقد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك وأطال من عمرك وفقهك في دينه ، اعلم أبا بكر أن أدني ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أنك آنست الظالم وسهّلت له طريق الغي بدنوك منه حين أدنيت وإجابتك له حين دعيت ، لقد جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون عليه إليه ضلالاتهم ، وعلالتهم ، يدخلون بك الشك إلى العلماء ، ويقتادون بك قلوب العامة إليهم، وما تبلغ من نفوسهم مكانة أخص وزرائهم وأقوى أعوانهم إلا بقدر ما تروج لفسادهم وتسوق الخاصة والعامة إليهم ، فما أهون ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ! وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك ! .

وبعد :

كلكم يمشي رويداً كلكم يطلب صيداً

وينطبق عليهم قول ابن المبارك رحمه الله حين قال :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين ، فأحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما أحل الله عز وجل ، وكانوا بمثابة قطاع الطريق إلى الله ، تنكبوا سبيل أسلافكم حين أحقوا الحق وأبطلوا الباطل ، فوضع الله في قلوب الناس هيبتهم لأن من خاف الله خافه كل شئ ، فكانوا بذلك أجل من الملوك جلالة ، وكانت إشارتهم للحكام أمراً وطاعتهم عليهم فرضاً ، أورثهم الفقر عزة في نفوسهم فلم يكونوا يهابون أحداً من أبناء الدنيا ولم يميلوا إليها حتى يتزلفوا إليهم من أجلها ، كسروا قيدها وتخلصوا من رقها وهانت عليهم وهان أهلها . ولسان حال علماء الأمة المعتبرين يقول : إنهم زهدوا في الدنيا فجاءتهم الدنيا ، وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم ، وهابوا الله فهابهم الناس ، فالله الله في أنفسكم ودينكم وأمتكم ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (٢٨١) ﴾ [البقرة ٢٨١] .

قرار مجلس المجمع الفقهي

هذا وقد تعرض مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي والمنعقد بمكة المكرمة لأمر الديمقراطية في القرار الثاني ، وذلك أثناء الحديث عن حكم الشيوعية والإنتماء إليها محذرين منها وموضحين كيف أن الباطل والكفر يتزيا بأزياء كثيرة ويستخدم أحياناً ألفاظاً براقة ينخدع بزخرفها من لا بصر عنده ولا بصيرة ،

وهذا هو نص القرار :

فإن مجلس المجمع الفقهي درس فيما درس من أمور خطيرة « موضوع الشيوعية والإشتراكية » وما يتعرض له في العالم الإسلامي من مشكلات الغزو الفكري على صعيد كيان الدول وعلى صعيد نشأة الأفراد وعقائدهم وما تتعرض له تلك الدول والشعوب معاً من أخطار تترتب على عدم التنبيه إلى مخاطر هذا الغزو الخطير ، ولقد رأي المجمع الفقهي أن كثيراً من الدول في العالم الإسلامي تعاني فراغاً فكرياً وعقائدياً خاصة أن هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أعدت بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية وأحدثت فيها خللاً في العقائد وانحلالاً في التفكير والسلوك وتحطيماً للقيم الإنسانية وزعزعة لكل مقومات الخير في المجتمع .

وإنه ليبدو واضحاً جلياً أن الدول الكبرى على اختلاف نظمها واتجاهاتها قد حاولت جاهدة تمزيق شمل كل دولة تنتسب للإسلام عداوة له وخوفاً من امتداده ويقظة أهله – لذا ركزت جميع الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمين هما العقائد والأخلاق :

ففي ميدان العقائد شجعت كل من يعتنق المبدأ الشيوعي المعبر عنه مبدئياً عند كثيرين بالإشتراكية فجندت له الإذاعات والصحف والدعايات البراقة والكتاب المأجورين وسمته حيناً بالحرية وحيناً بالتقدمية وحيناً بالديمقراطية وغير ذلك من الألفاظ ، وسمت كل من يضاد ذلك من إصلاحات ومحافظة على القيم والمثل

السامية والتعاليم الإسلامية رجعية وتأخراً وانتهازية ونحو ذلك .

وفي ميدان الأخلاق دعت إلى الإباحية واختلاط الجنسين وسمت ذلك أيضاً تقدماً وحرية ، فهي تعرف تمام المعرفة أنها متى قضت على الدين والأخلاق فقد تمكنت من السيطرة الفكرية والمادية والسياسية وإذا تم ذلك لها تمكنت من السيطرة التامة على جميع مقومات الخير والإصلاح وصرفتها كما تشاء فانبثق عن ذلك الصراع الفكري والعقائدي والسياسي وقامت بتقوية الجانب الموالي لها وأمدته بالمال والدعاية حتى يتمركز في مجتمعه ويسيطر على الحكم ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك من تقتيل وتشريد وكبت للحريات وسجن لكل ذي دين أو خلق قويم .

ولهذا لما كان الغزو الشيوعي قد اجتاح دولاً إسلامية لم تتحصن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تجاهه وكان على المجمع الفقهي في حدود اختصاصه العلمي والديني أن ينبه إلى المخاطر والتي تترتب على هذا الغزو الفكري والعقائدي والسياسي الخطير الذي يتم بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية وغيرها ، **فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة يقرر ما يلى :**

يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام وأن اعتناقها كفر بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وهي هدم للمثل الإنسانية والقيم الأخلاقية وانحلال للمجتمعات البشرية ، والشريعة الإسلامية المحمدية هي خاتمة الأديان السماوية ، وقد أنزلت من لدن حكيم حميد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهي نظام كامل للدولة سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ، وستظل هي المعول عليها بإذن الله للتخلص من جميع الشرور التي فرقت المسلمين وفتت وحدتهم ومزقت شملهم لا سيما في المجتمعات التي عرفت الإسلام ثم جعلته وراءها ظهرياً .

لهذا وغيره كان الإسلام بالذات هو محل هجوم عنيف من الغزو الشيوعي الإشتراكي الخطير بقصد القضاء على مبادئه ومثله ودوله ، **لذا فإن المجلس يوصي الدول والشعوب الإسلامية أن تتنبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم**

بالوسائل المختلفة ومنها الأمور الآتية :

﴿ أ ﴾ إعادة النظر بأقصى سرعة في جميع برامج ومناهج التعليم المطبقة حالياً فيها ، بعـد أن ثبت أنه قـد تسـرب إلى بعض هذه البـرامج والمنهج أفكار إلحـادية وشيوعية مسمومة مدسوسة تحارب الدول الإسلامية في عقر دارها وعلى يد نفر من أبنائها من معلمين ومؤلفين وغيرهم .

﴿ ب ﴾ إعادة النظر بأقصى السرعة في جميع الأجهزة في الدول الإسلامية وبخاصة في دوائر الإعلام والإقتصاد والتجارة والداخلية والخارجية وأجهزة الإدارات المحلية من أجل تنقيتها وتقويمها ووضع أسسها على القواعد الإسلامية الصحيحة التي تعمل على حفظ كيان الدول والشعوب وإنقاذ المجمعات من الحقد والبغضاء ، وتنشر بينهم روح الأخوة والتعاون والصفاء .

﴿ جـ ﴾ الإهابة بالدول والشعوب الإسلامية أن تعمل على إعداد مدارس متخصصة وتكون دعاة أمناء من أجل الإستعداد لمحاربة هذا الغزو ، وبشتى صوره ومقابلته بدراسات عميقة ميسرة لكل راغب بالإطلاع على حقيقة الغزو الأجنبي ومخاطره من جهة وعلى حقائق الإسلام وكنوزه من جهة ثانية ومن ثم فإن هذه المدارس وأولئك الدعاة كلما تكاثروا في أي بلد إسلامي يرجى أن يقضوا على هذه الأفكار المنحرفة الغريبة ، وبذلك يقوم صف علمي عملي منظم واقعي من أجل التحصن ضد جميع التيارات التي تستهدف هذه البقية الباقية من مقومات الإسلام في نفوس الناس .

كما يهيب المجلس بعلماء المسلمين في كل مكان ، وبالمنظمات والهيئات الإسلامية في العالم أن يقوموا بمحاربة هذه الأفكار الإلحادية الخطيرة ، التي تستهدف دينهم وعقائدهم وشريعتهم ، وتريد القضاء عليهم وعلى أوطانهم ، وأن يوضحوا للناس حقيقة الإشتراكية والشيوعية وأنهما حرب على الإسلام .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أ . هـ .

وقد وقّع على هـذا القرار الشيخ / عبـد الله بن حـميـد رئيس مـجلس القـضـاء الأعلى « السابق » في المملكة العربية السعوديـة – والشيخ / عبد العزيز بن باز الرئيس العـام لإدارات البـحـوث العلمـيـة والإفـتـاء والدعـوة والإرشـاد ، والشـيخ / صـالح بن عثيميين ، والشيخ/ محمد على الحركان « الأمين العام» ، والشيخ / محمد بن عبد الله السبيل ، والشيوخ / مصطفى الزرقاء – محمد رشيدي – محمد رشيد قباني – عبد القدوس الهاشمي » .

الخاتمــة :

عباد الله – لم نترك سبباً من أسباب البعد عن الله إلا وقد أخذنا عليه بالنواجذ ، ولا سيئة من السيئات إلا واعتنقناها ، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً ، وطوبى للغرباء الذين يصلحون عند فساد الأمة ، ويصلحون من أفسد الناس من السنَّة ، يأخذون لأنفسهم بأسباب النجاة ، ويصلون الأرض بالسماء ، ويهتفون بالخلق كافة أن ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر : ٥٤] ، واحذروا ﴿ **مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)** ﴾ [الروم : ٤٣ ، ٤٤] ، يتشبهون بمؤمن آل فرعون الذي خرج يتابع المرسلين ويقول : ﴿ **وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)** ﴾ [غافر : ٤١ – ٤٤] .

فيا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ، وأسلموا وجوهكم إلى خالق الأرض والسموات ، واتركوا المناداة بالإشتراكية ، والديمقراطية وعضوا على إسلامكم بالنواجذ وإياكم وهذه المناهج والفلسفات الخربة فقد تبينتم عوارها وبوارها وعدم صلاحها في الدنيا والآخرة ، وقد أمرنا أن نسمي الأشياء باسمها ، فالديمقراطية والإشتراكية ... مناهج وثنية كفرية ، لا يصح إضافتها للإسلام، ولا يصح ذكرها إلا على سبيل إبطالها ودحض مفترياتها وشباتها وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت وبأي لباس تحلت ، فذلك الصراط المستقيم ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل في الشرود عن منهج الله والسعي وراء الأفكار الضالة مخطئون ، والذين

يدركون خطر الجاهلية الجديدة وينكرون ويكابرون في وجود الجاهلية الموروثة والتي تسري في دماء البشر فتجعل القصد لغير الله مخطئون .

ومن يعرف الدين الصحيح ويعرف الأوضاع لا يماري في أن الجاهلية الأولي وآلهتها الزائفة باقية في ديار المسلمين ، وكل رسول كان يعالج انحراف قومه ويردهم لإقامة منهج العبودية لله في أرضه .

والباطل والكفر صورة مكرورة ، فالوثنية الأولى ما زالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزنوج والإسكيمو والملايين في أمريكا وبريطانيا مازالوا يجثون على الركب أمام تمثال العذراء طالبين البركة ، وآلهة الهند بالألوف ، والشيوعيون يتخذون من قبر لينين مطافاً ومزاراً ،وعندنا حتى يومنا هذا من يذبح لأبي العباس وينذر للسيد البدوي ، ويسجد لقبر الحسين الوهمي ، ويستغيث بإبراهيم الدسوقي .

وبالتالي فالآلهة الأولى كألوهية فرعون ونمرود والأحبار والرهبان نماذج مكرورة لم تتلاش، ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمي قادر على إزالة مثل هذا الضلال ، وعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم الدنيوية فواقع الحال يقول: إنه مازل منحطاً في العلوم الإنسانية والدينية ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ⑦ ﴾[الروم : ٧] ، فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها بل هي أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الإيمان في نفوس العباد وفتح العيون على قدرة الله في خلقه .

وفـــي كـــل شـــئ له آيـــة تـــدل علـــى أنـــه واحـــد

وقضايا التوحيد لا تتجزأ فيجب التركيز عليها والإهتمام بها وترسيخها في النفوس ولابد أيضاً من هدم الشرك ودحض الباطل في كل مظاهره وصوره وأشكاله ، والشرك شئ واحد تتفق صوره في أنها قصد لغير الله في التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقديس ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** ﴾ .

[البقرة : ٢٥٦] .

وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب ، فلا أهم من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك سواء كانت أصناماً أو طواغيت جديدة أو تشريعات معاصرة نصب بها أصحابها أنفسهم أرباباً وآلهة مع الله ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٦] ، ولتعلم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك - رحمه الله - فهيا بنا نرجع لمثل ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، فهذا هو سبيل سعادتنا في دنيانا وأخرانا وهو الذي يحقق لنا التقدم والحرية والحقيقية و﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء : ٩] ، وبه نقيم حضارة على منهج العبودية وخلافة على منهاج النبوة ونرضي به ربنا من قبل ومن بعد ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ [الحديد ١٦ ، ١٧] .

وعلينا دائماً أن نتذكر قول عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما : « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

إن كلاماً كهذا يسمى في مصطلح اليوم رجعية ، فمن يجاهر بالرجعية ومن يؤثرها على التقدمية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فهي نصيحة واجبة نسديها وندخر ثوابها عند الله ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل ، ونثني عليه سبحانه بما هو أهله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس

رقم الصفحة